الرحلة المحسنية

والسياحة الهاشمية

الى الديار الشامية والمصرية

وهي الرحلة التي قام بها السيد الشريف الهمام الغطريف طراز
العصابة الهاشمية وعنوان النجابة العلوية النبيل
الجليل (السيد محسن ابو طبيخ) إلى
الديار الشامية والفلسطينية
والمصرية وذلك في
أواخر سنة ١٣٤١
واوائل سنة
١٣٤٢
هـ

....

مطبعة العرفان * صيدا سنة ١٣٤٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امر بالرحلة والتسيار ، وحث على النظر والاعتبار ، والصلاة والسلام على رسوله المختار ، وآله الأئمة الأطهار ،

أما بعد فقد اتفق لي اواخر سنة ١٣٤١ هـ مغادرة وطني ومسقط رأسي « العراق » والتجول في ديار الشام وفلسطين ومصر وتدوين بعض ما امكن تدوينه من مشاهداتي في تلك البلاد وقد عزمت الآن على نشر تلك الخواطر المدونة ورأيت من الواجب تقديم مقدمة اشرح فيها الأسباب التي حملتني على قصد تلك الآفاق وحدتني على الخروج من العراق فأقول ، وبالله التوفيق ومنه التسديد

مبارحة النجف الاشرف

خرجت من النجف الأشرف في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤١ هـ قاصدا محلي في الشامية وذلك بعد ختام مأتم سيد الشهداء الإمام ابي عبد الله الحسين عليه السلام الذي جرت عادتي بإقامته اثناء شهر رمضان من كل سنة في البلدة المذكورة الشريفة وقد انحرف مزاجي هذه المرة في النجف انحرافاً شديداً لم ينجع فيه علاج اطبائها فصممت على الذهاب الى بغداد بقصد المداواة وهكذا برحت الشامية بعد قضاء بعض المهمات وامضاء عطلة العيد في رابع شوال سنة ١٣٤١هـ وقد امضيت الخامسة من ليالي الشهر المذكور في قصبة الشامية المسماة بالحميدية وقضيت الليلة السادسة بينها وبين الديوانية حيث زرت بعض الاصدقاء وفي صبيحتها وردت الديوانية وامضيت سجابة ذلك النهار فيها

وفي اوائل الليلة السابعة ركبت القطار منها الى بغدادفوردناها عندالصباح في الساعة الحادية عشرة ليلا اي بعد طلوع الشمس بساعة واحدة حيث توجهت رأسا ألى الكاظمية واخترت الإقامة فيها فكنت اذهب صباح كل يوم إلى بغداد واعود مساء وقد فحصني الأطباء وقرروا وجوب الإقامة في بغداد زهاء شهرين للمداواة فلم ار بدآمن ذلك وشرعت بالعلاج

عودة الملك فيصل ومسألة الانتخابات

كان الملك فيصل قد توجه إلى الموصل لبعض المسائل السياسية وذلك قبل وصولي إلى بغداد بيومين وقد رجع بعد ذلك باسبوع فقصدت زيارته في منزله ثاني يوم وصوله وقابلته صباحاً مقابلة استغرقت نصف ساعة سألني فيها عن الأحوال في البلاد فذكرت له ما رأيته وما سمعته في هذا الباب ثم استأذنت فأذن لي بالذهاب طالبا أن اعود اليه بعد يومين وقد عدت في الوقت المضروب واخبره الحجاب في الحال بوصولي إلى قصره المعمور فتقدم بالانتظار إلى مابعد الفراغ من مقابلة الزوار وذوي الاعمال فانتظرت إلى الساعة الرابعة من النهار حيث خلا المجلس ودعيت فدخلت وسلمت واشار بالجلوس فجلست وافتتح الكلام في موضوع الانتخاب ودعوة مجلس المؤسسين ودامت المذاكرة في هذا الباب إلى الساعة السابعة وخلاصة ما افاده انه عازم على اجراء الإنتخاب على كل حال وارغام كل من يعارض اياً كان فدفعني الإخلاص وحب المصارحة الحقيقية إلى النصيحة فقلت إعلم ياجلالة الملك ان انتخاب مجلس المؤسسين حق من حقوق الأمة وهي التي تطالب بإجرائه على قواعده المرعية المعلومة فإن امكنكم ضمان حرية الانتخابات تمت بسهولة وشكرتكم الأمة على ذلك وإلا

تعين عليكم الصبر وسعة الصدر واتخاذ التدابير الحسنة وانتهاج السيرة المرضية واقناع الناس بفائدة الانتخاب على كل حال لاسيما العلماء الروحانيين إذ كانت قد صدرت فتواهم الشهيرة يومئذٍ بتحريم الانتخابات لا كراهية لها ولكن لعلمهم بأنها ستكون على غير ما يرام ولا يخفى ان الغرض من دعوة المجلس التأسيسي امور اولها النظر في المعاهدة العراقية — الانكليزية والأمة العراقية وعلماؤها وقادة الرأي فيها لا يكرهون قط المعاهدة مع الحكومة الانكليزية بل يقبلونها بكل ارتياح إذا ضمنت تلك المعاهدة تبادل المصالح وتقايض المنافع بين حليفٍ وحليف لا بين قويٍ وضعيف ولكن المعاهدة العراقية — الانكليزيـة المعلومة ليست كذلك ولا شأن فيها للعراق والعراقيين ولا مصلحة فيها لغير الأجانب ولذلك صدرت الفتوى بتحريم الانتخابات فإن استعملت الشدة والعنف في اجرائها اضطر العلماء إلى تأكيد فتواهم في هـذا الباب فما كان من الملك إلاّ ان قبل نصيحتي هذه ووعد باستئناف المفاوضة مع العلماء على هذا فارقت جلالة الملك ثم انه اجتمع بغيري ممن هو على خلاف رأيي فيما تقدم وابدى لهم رأيي المشار اليه فلم يستصوبوه بل وافقوه على الـتزام خطة العنف والشدة مع المعارضين اياً كانوا ثم انه دعاني واياهم بعد ثلاثة ايام إلى جلسة خاصة سئلنا فيها عن رأينا في الانتخابات ووجوب الموافقة عليها ولو في مقابلة الأمة وعلمائها فأعدت على مسامعه مقالتي السابقة فلم يصغوا إلى ما قلت وطلبـوا مني الاجابة إلى ما اجابوا اليه والمعـاهدة عـلى ما عاهدوا عليه فامتنعت وابيت قائلا انا عراقي الوطن إمـامي المذهب لا يسعني الموافقة على ما يمس كرامة بلادي ولا يمكنني مخالـفة علماء مذهبي فمعذرةً اليك يا جلالة الملك من مخالفة القوم في رأيهم وعدم السلوك

في سبيلهم وثق انني سوف لا اعارضك قط بل اكون على الحياد التام في هذه المسألة فغضب الملك قائلا إذا لم توافق فلا مناص لك من مبارحة العراق فقلت اني افضل الموت ضربا بالسيوف على الخيانة فحينئذ امر بنفيي إلى سوريا

الخروج من بغداد

خرجت من بغداد يوم الخميس ٢٨ شوال ١٣٤١ وامضيت ليلتي في منزلي في الكاظمية حيث انتشر نبأ مغادرتي العراق في طول البلاد وعرضها وما اصبح الصباح حتى غص المشهد الكاظمي الشريف بالجماهير الذين حضروا التشييع يقدمهم العلماء الأعلام والشيوخ الوجهاء فودعت تلك المشاهد الشريفة واتجهت إلى محجة الحديد بين الألوف المؤلفة من المشيعين بعد توديعي العلماء دامت بركاتهم اما الجماهير فأبت الا تشييعي إلى بغداد ركوبا في العربات والسيارات ومشيا على الاقدام فما وصلنا بغداد حتى وجدنا الناس بانتظارنا يقدمهم الوجهاء والأعيان وقد تجمهر البغداديون خارج المدينة وعلامات التأثر ظاهرة على الجميع فنزلت من المركبة واتجهت الى «المسعودي» محاطا بتلك الألوف المؤلفة من الناس رافعين اصواتهم بالصلوات على محمد وآله عليهم السلام إلى أن وردنا المسعودي حيث كانت السيارة معدة لركوبي فوقفت لتوديع الناس الذين اخذوا يتهافتون عليّ افواجاً افواجا ويتدافعون نحوي امواجاً امواجا بعيون عبرى وقلوب حرى حتى طال الوقوف بين تلك الصفوف والقيت الخطب الحماسية واضطرب الجمهور وهاجت بلابل الصدور فكانت مظاهرة عظيمة حاول الجمهور في اثنائها منعنا من السفر فتداخلت الشرطة واوشك

أن يقع بين الفريقين ما لا تحمد عقباه فتداركت الأمر بأخذ الورقة من يد الخطيب واطلقت لساني بشكر الجميع على ما ابدوه نحوي من الغيرة العربية والشهامة العراقية . ثم ركبت السيارة وامرت سائقها بدفعها وسط تلك الجماهير المكتظة فيالك من مشهد جليل وموقف خطير هيهات أن انساه او اتناساه على كر العصور ومرّ الدهور

الفلوجة

غادرنا بغداد يوم ٢٩ شوال سنة ١٣٤١ في الساعة الواحدة نهاراً وقطعنا الطريق بينها وبين الفلوجة في ساعة ونصف حيث وقفنا على كثير من اطلال القرى والمدن وآثار الأنهار الدارسة منذ زمن العباسيين ناطقة بمبلغ ما وصل اليه هذا القطر من العمران إذ ذاك والفلوجة بلسان قدماء العراقيين وفلاليج السواد قراه وقيل الفلوجة الأرض المصلحة للزرع وقد سمي موضع على الفرات [فلّوجة] وهي الآن قرية صغيرة على الجانب الشرقي من الفرات فيها مدير ومخفر للشرطة من قبل حكومة العراق وليس على جانبها الغربي بناء سوى قصر بناه آل كيروب من بيوت الأرمن في بغداد في ضيعتهم هناك وهي ارض واسعة يزرع فيها القطن والحبوب اشتروها من كاظم باشا صهر السلطان عبد الحميد وإلى جنب القصر المذكور خان يأوي اليه المسافرون وقد عبرنا الفرات في الشختور وهي نوع من انواع السفن العراقية إذ كان الجسر مقطوعا لما كان من طغيان المياه في الفرات واردنا السفر حالا فلم تسمح الحكومة الا بعد اجتماع كافة السيارات ولم تجتمع الا في الساعة العاشرة فاضطررنا إلى المبيت ليلة الجمعة في الخان المار ذكره وفي صباح الجمعة بعد الفجر بساعة اطلقنا لسياراتنا العنان

ومجموعها عشر وصحبنا من الفلوجة شرطيان لخفارتنا في الطريق التي سلكناها وهي في حاجة الى الخفارة لأننا سلكنا برّ الشام إلى الرمادي بسبب انكسار سدة [حبانيا] وفيضان المياه على الطريق المعتادة ولذلك تأخرنا في الطريق لوعورتها وكثرة الرمل فيها ولم نصل إلى الرمادي إلا بعد الساعة الواحدة و ٤٥ دقيقة أي أننا قطعنا المسافة بين الرمادي والفلوجة في اربع ساعات و ٥ دقائق مع ان الطريق المتعارفة لا تستغرق اكثر من ساعتين

الرمادي

بلدة حسنة طيبة على ضفة الفرات الغربية وهي مركز متصرفية فيها بساتين قليلة وعلى مسافة ميل واحد من شمالها يتفرع نهر [الطاش] مخترقاً الضياع المشهورة المعروفة باسمه الواقعة جنوب الرمادي امازراعها فقبائل مختلفة يتألف معظمها من الدليم واغلب ما يزرع فيها الارز ولعلي السليمان شيخ عرب الدليم قصر على النهر المذكور يبعد عن البلدة نصف ميل من الجنوب وقد استقبلنا رجال الشرطة عند مانزلنا في الرمادي واخذوا منا الجوازات واعادوها لنا ممضاة بعد ساعتين وغادرنا البلدة ووجهتنا (هيت) فوصلناها في الساعة السادسة من النهار

هيت

بلدة عند جبل على ضفة الفرات الغربية صخرية التربة ليس فيها عمارة جليلة ولا منظر مهم نعم فيها كثير من المناجم والمعادن خصوصاً معادن القار والزفت والكبريت والزيت الحجري والنفط وغير ذلك وهي

من هذه الوجهة من اغنى ديار العراق ومنها يجلب القار وبعض المعادن إلى سائر ديار العراق وهي من اقدم مدن العراق سميت باسم بانيها هيت بن السبندي وقيل غير ذلك ولقدمها كان البابليون يجلبون منها القار وما يوجد في خرائب بابل من القار فهو مما كان يجلب من هيت وهي الآن ناحية يحكمها مدير وفيها مخفر للشرطة وفيها من البساتين اكثر مما في الرمادي ولكن نخلها لاينمو كما يجب لصلابة الأرض وقد غادرناها الساعة السابعة وفي منتصف الحادية عشرة وردنا الحديثة

الحديثة

قرية تقع في ثلاثة اقسام اثنان على ضفتي الفرات وقسمها الثالث وهو الأكبر في جزيرة وسط الفرات وفيها على الجانبين بساتين وضياع تروى بالدوالي والنواعير حيث تبنى لها ارصفة عريضة طاعنة في الفرات وتدار بقوة الماء فإن الفرات من هيت فما فوقها شديد الجريان وهذه الطريقة من الري لا تكلف شيئا فإن الدوالي وجميع اجزائها من عمل اهل البلاد وهذه القرية قديمة وكانت تسمى [حديثة الفرات] وتعرف [بحديثة النوره] قال ياقوت هي على فراسخ من الانبار وبها قلعة حصينة في وسط الفرات يحيط الماء بها قال احمد بن يحيى بن جابر وجه عمار بن ياسر رحمه الله ايام ولايته الكوفة من قبل عمر بن الخطاب جيشا يستقري ما فوق الفرات عليهم ابو مدلاج التميمي فتولى فتحها وهو الذي بنى الا [حديثة] التي على الفرات وولده بـ [هيت] قال ابو بدر النميري الشاعر يتشوق إلى وطنه في الحديثة

اطعت الهوى لما تملكني قسرا ولم ادر أن الحب يستعبد الحرا

فأصبحت لا أصغي إلى لوم لائم ولا عاذل بالعذل مستترا مغرى
إذا ماتذكرت الحديثة والشرا وطيب زماني بادرت مقلتي تترا
اشرخ شبابي بالفرات وشرّتي وميدان لهوي هل لنا عودة اخرى

وقد بتنا ليلة السبت بالحديثة في خان ينزل فيه المسافرون ومما يسترعي الإنتباه أن الشمس تأخر غروبها في الحديثة عشر دقائق وذلك بسبب الفرق بين افقها وبين افق العراق وقد برحناها الساعة ٩٫٧ ليلا أي قبل طلوع الشمس بـ ١٥ دقيقة فوصلنا عانه ﴿ وقد مالت الشمس للغروب ﴾ الساعة ١٢ ليلا أي بعد طلوع الشمس بساعتين و١٥ دقيقة

عانه

بلدة على ضفة الفرات الغربية بينها وبين جبل شاهق يطل عليها وعرضها نحو مأتي قدم وهو لا شيء بالنسبة إلى طولها البالغ ثلاث ساعات وفيها بساتين نخل وغيره ولضيق مساحة الأرض عندهم غرسوا ساحات دورهم إذ لا يكاد يزيد عرض المدينة على مقدار دار واحدة مع جنينتها او دارين على الاكثر والشارع العام بين الجبل والبلاد . وعانه ايضاً من جملة مدن العراق القديمة قال السمعاني قرى عانات بناها كسرى وكانت من [هيت وقزقيسا] من غير عمارة حتى بناهـا [ازدشير] وحكي ايضا ان اهلها كانوا (نصيرية) في قرن للهجرة وعلى ميل واحد من عانه قرية يقال لها (راوه) في سفح جبل على الضفة الشرقية من الفرات إلا أن مساحتها عرضاً اوسع من مساحة (عانه) وبين اهل البلدين احقاد وثارات عظيمة وحروب وفتن تنشأ من حين إلى آخر لا سبب لها سوى الجهل المحض وقد برحنا [عانه] بعد امضاء الجوازات في الساعة الـ ٢ ووجهتنا القائم فوردناه الساعة الـ ٦

القائم

هوآخر حدود المملكة العراقية واول حدود المملكة السورية وفيه مدير وما يزيد على مائةهجان يخفرون الحدود وليس هناك بناء ولابساتين عدا بيوت الأعراب ومضاربهم واسم هذا المكان في القديم [دير القائم الأقصى] كما جاء في معجم البلدان وغيره قال ابو الفرج الاصفهاني وقد رأيته وإنما قيل له [القائم] لأن عنده مرقباً عالياً كان بين الروم والفرس يرقب عليه على طرف الحد بين المملكتين شبه (تل عقر قوف) ببغداد و(اصبع خفان) بظهر الكوفة وعنده دير هو الآن خراب وقال ايضاً في مكان آخر [دير القائم الأقصى] على شاطئ الفرات بطريق الا [رقة] مرّ به الرشيد بخلافته فاستحسن الموضع واستطابه وكان الوقت ربيعا وكانت المروج التي حوله مملوءة بالشقائق والانوار واصناف الرياحين والازهار فنزل به واقام ٣ ايام وقال هاشم بن محمد الخزاعي

بدير القائم الأقصى غزال شادن احوى
برى حبي له جسمي ولا يدري بما القى
واخفي حبه جهدي ولا والله مـا يخفى

ولم نتأخر في القائم إلا نصف ساعة للاستراحة وبرحناها في الساعة ال ٦٫٧ الى (ابو كمال) فوردناها الساعة ١١٫٩

ابو كمال

قرية صغيرة حسنة على الجانب الغربي من الفرات بينها وبين الشاطئ نصف ميل ارضها رملية سهلة وفي جهتها الشمالية بعض المباقل والبساتين

ولا ينمو فيها النخل لأنها من بلاد الشام هواؤها يميل إلى البرودة ولا يكاد يرى الرائي بعد نخيلات عانة وراءه نخلة واحدة على شواطئ الفرات وابو كمال مركز قضاء للحكومة السورية وفيه عامل فرنسي وقد برحناها بعد امضاء الجوازات في الساعة ال ١٠ ووصلنا الميادين بعد غروب الشمس بنصف ساعة وقد تأخر الغروب ٢٠ دقيقة في ساعتنا لتغير الأفق وتقدمنا إلى جهة الشمال

الميادين

قرية حقيرة خالية من المباقل والبساتين تزرع في ارضها الحبوب وتروى بالنواعير وقد برحناها الساعة ال ٩ ليلا أي عند طلوع الشمس وسبب تقدم الشمس في الطلوع إذ ذاك تأخرها في الغروب كما مرّ بك عن قريب وقد وصلنا الدير بعد طلوع الشمس بساعة ونصف

الدير «دير الزور»

مدينة كبيرة حسنة المنظر جيدة العمارة واسعة الشوارع كثيرة الأسواق رائجة التجارة تقع على ميل واحد من الفرات في جانبه الغربي ارضها سهلية مما يلي الشرق والجنوب أما من جهة الغرب فتقاربها الجبال وفي شمالها بساتين مختلفة وهي الآن مركز لواء فيها متصرف وعامل فرنسي وحامية عسكرية فرنسية والدير من مدن الفرات القديمة كانت تعرف (بدير الرمان) قال ياقوت دير الرمان مدينة كبيرة ذات اسواق للبادية بين الرقة والخابور تنزلها القوافل القاصدة من العراق إلى الشام وقد تأخرنا في الدير بمقدار امضاء الجوازات والتفتيش عن البضائع

المهوّبة وبرحناها الساعة الثانية عربية فوصلنا الى (صبخة) في الساعة السابعة

الصبخة

قرية صغيرة فيها خان ومقهى اي مكان معد لشرب القهوة ارضها غير مزروعة ولا مغروسة يتعيش اهلها مما يبيعون على المسافرين من البيض والدجاج واللبن ويقوم اكثرهم بتربية الأغنام وقد تركناها الساعة الـ ٨ ووصلنا الحمام بعد الغروب بـ ٢٥ دقيقة

الحمام

قرية صغيرة فيها خان ومقهى وقد نُهبت وخربت في جملة ما نهب وخرب من القرى ايام الثورة التي قام بها رمضان آل شلاش ولم يترك الأعراب في الحمام حتى سقوف البيوت وقد هجرها اهلها لذلك ولمابتنا فيها لم نجد منهم الا صاحب الخان والمقهي وآحاداً من السكان عادوا اليها من قريب وقدغادرناها عند طلوع الشمس أي بعد الساعة الثامنة واربعين دقيقة ووصلنا مسكنة بعد ثلاث ساعات على التقريب

مسكنة

قرية صغيرة حسنة في سفح جبل على ميل ونصف من الفرات وقد احرقها الاتراك عند انسحابهم من البلاد السورية في الحرب الكبرى فهي خربة الآن وليس فيها إلا مقهى وبعض الحوانيت وحامية فرنسية ومسكنة على الغالب هي التي سميت في الفتوح الإسلامية [بالس] فتحها ابو عبيدة ولم نقم فيها إلا ساعة واحدة وغادرناها في الساعة الواحدة نهاراً ومنها

سلكنا في بادية حلب وفارقنا مجرى الفرات بعد أن كان مسيرنا بجذائه من الفلوجة إلى مسكنة و كلما بينهما من القرى والبلدان المار ذكرها واقعة على الجانب الغربي من الفرات وقدمنا من البادية إلى الجنوب حتى وصلنا [دير حافر] في الساعة ال ٢ من النهار

دير حافر

قرية صغيرة ترويها عين وتزرع في ارضها الحبوب على الامطار وهي ايضاً من قرى الشام القديمة قال ياقوت دير حافر قرية بين حلب وبالس ذكرها ابو عبد الله القيسراني الشاعر في قوله

إلى كم ترامت بالس بمسافر   وكم حافر ادميت يا دير حافر

مكثنا في دير حافر ثلاثين دقيقة ثم سرنا منها إلى نهر الذهب فوصلنا الساعة ال ٤.من النهار

نهر الذهب

منبع هذا النهر من عين واقعة شمال الطريق وعرضه ٣ امتار وعليه قرى وضياع كثيرة تزرع فيها الحبوب والذرة الصفراء والبيضاء وهو من انهار الشام القديمة ويقال عجائب الدنيا ثلاث دير الكلب ونهر الذهب وقلعة حلب

والعجب فيه أن اوله يباع في الميزان وآخره بالكيل وتفسير ذلك أن اوله يزرع على الحصى كالقطن وسائر الحبوب ثم ينصب إلى بطيحة عظيمة طولها نحو فرسخين في عرض مثل ذلك فيجمد فيصير ملحاً تمتار منه اكثر نواحي الشام ويباع حينئذ بالكيل حكى ذلك ياقوت في معجم البلدان

ولم نقم في نهر الذهب سوى نصف ساعة أمضيناها في السؤال عن النهر المذكور ثم قمنا منه إلى حلب في طريق مأهولة عامرة كثيرة القرى والضياع والمزارع منها ما يسقى بمياه الأمطار التي تحفظ في مصانع خاصة ومنها ما يروى من عيون صغيرة إلى ان دخلنا حلب الشهباء الساعة الـ ٦ من النهار يوم الأثنين ٣ ذي القعده سنة ١٣٤١

حلب

هي احدى عواصم الشرق وحواضر الإسلام فتحها ابو عبيدة عامر وخالد بن الوليد وتسمى قديما هلبون او هلبة وكانت قاعدة الدولة الحمدانية ثم الدولة المرداسية من سنة ٤١٤ إلى سنة ٤٧٣ ولا يمكن ايراد مايليق بوصفها في هذه العجالة وقد اكثر الناس في مدحها ووصفها نظما ونثراً وحسبك من ذلك قصيدة ابي الفتح كشاجم تلك القصيدة الغراء والفريدة العصماء التي سارت بها الركبان ورواها القاصي والدان منها قوله

ارتك يد الغيث آثارها . واعلنت الأرض اسرارها
وما امتعت جارها بلدة كما امتعت حلب جارها
هي الخلد تجمع ما تشتهي فزرها فطوبى لمن زارها
إذا ما استمد قويق السما بها فأمدته امطارها
واقبل ينظم انجادها بفيض المياه واغوارها
فأرضع جناتها دره وغنم بالنور ازهارها

استوقفنا الشرطة في مدخل المدينة فدونوا اسماءنا وامضوا جوازاتنا ثم دخلنا المدينة وذهبنا تواً إلى نزل (الفرات) حيث امضينا ليلة الثلاثاء وما اصبح الصباح حتى توافد علينا من بلغه وصولنا إلى حلب من اعيانها

ووجهائها واقترحوا علينا الانتقال إلى منازلهم فاعتذرنا واكتفينا بإجابتهم إلى ولائمهم وحفلاتهم الفاخرة حيث شاهدنا من الإعزاز والإجلال ما لا يسعه البيان وحلب كما مر بك مدينة عظيمة واسعة لا تكبرها بغداد كثيراً ولكنها ابدع واجمل من بغداد لا سيما حلب الجديدة إذ قد خططت على الطرز الحديث وبنيت كلها بالأحجار الطبيعية ورصفت بها شوارعها الصغيرة والكبيرة وكذلك اسواقها وهي اكثر عددا من اسواق بغداد وإن تكن اسواقها الآن كاسدة عاطلة لانسداد طرقها التجارية واهمها طريق آسيا الصغرى والأناضول وتكتنف المدينة من جهاتها الأربع جبال واطية ويتوسطها جبل شاهق عال تقوم عليه قلعتها المشهورة وهي من امنع حصون العالم وفيها تضرب الامثال وعلى قدمها لا تزال قائمة تقاوم عوادي الزمان وقد رممتها الحكومة العثمانية السابقة بعض الترميم ومن اراد وصفها تفصيلا فعليه بكتب التاريخ المطولة وقد اورد ياقوت في ذلك فصلا لا بأس به فراجع معجم البلدان ويزيد ارتفاع الجبل القائمة عليه على مائة قدم وهو مدوّر صحيح التدوير يكاد لايتمكن احد من ارتقائه لما فيه من الملاسة والتسنيم ويحيط به خندق عرضه نحو ٥٠ متراً في عمق ٢٠ من ينزل فيه لا يستطيع الخروج منه ومحيط هذا الجبل زهاء ٣٠٠٠ قدم وفي سفحه مما يلي المغرب في قعر الخندق حصن او قلعة صغيرة مستندة إلى الجبل يساوي رأسها اساس القلعة الكبيرة التي في رأس الجبل ولها باب واحد في اعلاه يتصل بأسس القلعة الكبيرة لا يمكن رؤية الداخل فيه من خارجها وهكذا الحال من جهة المشرق وللقلعة الكبيرة باب واحد مما يلي الجنوب يتصل به جسر معقود على اعمدة رخامية يعبر عليه الخندق وفي وسط هذا الجسر حصن لا بد للعابرين من الدخول فيه في الذهاب

والإياب وفي حالة الصعود والنزول وبالجملة فالقلعة هائلة عظيمة العمارة بنيت بالحجر الضخم ولم يتسنَّ لنا الدخول لوجود الحامية الفرنسية فيها وانما وصفناها على الاجمال بمجرد النظر اليها من الخارج

جامع النبي زكريا

ومن اهم الآثار الشريفة الموجودة في حلب جامع نبي الله زكريا على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام وهو جامع عظيم فخم البناء طوله ٢٠ من الاساطين في عرض ١٥ انفق على عمارته قدماء سلاطين الأتراك ويدّعي الحلبيون ان عمارة ما يلي الجنوب منه اقدم من ذلك بكثير وهذه الجهة مقام النبي (ص) ملاصقة الجدار وتتألف عمارته من اربع اساطين من العرض على طول الركن عليه شباك من النحاس الاصفر داخله دكة تعلو قليلا عن مستوى عرض الجامع وعلى الدكة بردة ثمينة من الحرير الأخضر وفوق الشباك وفي داخله انواع من نفائس القناديل المعلقة وقد فرشت هذه الجهة التي تشتمل على المقام الشريف بنفائس السجاد وطليت بالبورق وسائر الأصباغ ويتألف ما يلي المغرب من الجامع من ١٢ من الاساطين وهناك المقام وما يلي المشرق فمن ٨ اساطين يفصل بينهما باب الجهة الشمالية اما زاوية المشرق فمعقودة على ٣ اساطين والغربية على ٢١ بين كل اسطوانة واخرى ٨ اقدام وفي وسط الجامع بحيرة أو حوض ماء تظلله سقيفة مسدسة قائمة على ستة اعمدة من الرخام ارتفاع كل عمود نحو ٥ امتار وساحة الجامع مفروشة بألوان من الحجر الابيض والأحمر والاسود على شكل هندسي جميل ويكاد يزل الماشي عن صحن الجامع لصقالته وملاسته وللجامع ٣ ابواب على كل باب مأذنة

ماء حلب

اما ماء حلب فمن نهر قويق الذي ينبع من عينتاب على ثلاث مراحل من المدينة قال ياقوت قويق بضم اوله كأنه تصغير قاق وهو صوت الضفدع ولذلك قال شاعرهم

إذا ما الضفادع نادينه قويق قويق أبى أن يجيبا
تغوص البعوضة في قعره وتأبى قوائمها أن تغيبا

وهو نهر مدينة حلب مخرجه من قرية تدعى (سبتات) وسألت عنها بحلب فقالوا لا نعرف هذا الاسم انما مخرجه من (شناذر) قرية على ٦ اميال من (دابق) ثم يمر في رساتيق حلب ١٨ ميلا إلى حلب ثم يمتد إلى (قنسرين) ١٢ ميلا ثم إلى (المرج الاحمر) ١٢ ثم يغيض في اجمة هناك فمن مخرجه إلى مغيضه ٤٢ ميلا وماؤه اعذب ماء واصحه إلا انه في الصيف ينشف فلا يبقى إلا نزوز قليلة واما في الشتاء فهو حسن المنظر طيب المخبر وقد وصفه شعراء حلب بما الحقوه بنهر الكوثر ومن امثال عوام بغداد (يفرح بفلس مطلي من لم ير ديناراً) وقد احسن القيسراني محمد ابن جعفر في وصفه بقوله

رأيت نهر قويق فساءني ما رأيت
فلو ظمئت وأسـ قيت ماءه ما رويت
ولو بكيت عليه بقدره ما اشتفيت

وعرض هذا النهر الآن ٧ امتار يخترق حلب الجديدة من الشمال إلى الجنوب وعلى ضفتيه البساتين وماؤه قليل جداً بالنسبة إلي ما في البساتين والضياع ولا يفي بريها لولا رطوبة الهواء وبرودة الأرض في الصيف

ولولا مياه الامطار في الشتاء حيث ينمو على ذلك قسم عظيم من الأشجار كالعنب والتين والرمان والزيتون والفستق والكرز وهو ثمر شجر كالخوخ لكنه اصغر منه واشجار الخشب والمباقل واما اشجار الليمون والتفاح والموز والذرة فلا بد من سقيها بالماء على رأس كل شهر ولو احتاج كل ما في حلب من البساتين والضياع إلي إسالة الماء لما كفاها اضعاف نهر قويق لأن حلب محاطة بالبساتين من جميع الجهات سهولها وجبالها سواء في ذلك وانك لترى الجبل الشاهق مغطى بالأشجار من اعلاه إلى اسفله ومن قمته إلى سفحه وينتهي نهر (القويق) بالبساتين التي يتوزع بينها في ظاهر حلب على مسافة ميلين

اختلاف الحلبيين ومذاهبهم وحكومتهم

تغلب الخلاعة والتهتك على الاهالي في حلب ولهم ولع بالملاهي والالعاب ولا تقفل مقاهيهم إلى الصباح وزيهم على اختلاف المذاهب واحد لا يعرف المسلم من غيره إلا بالتأمل والتدقيق يؤلف اليهود والنصارى ٣٠ في الـ ١٠٠ من مجموع سكانها اما الـ ٧٠ الباقون فمسلمون على مذهب اهل السنة ولا يوجد في البلدة اليوم غير اسرتين من الشيعة مع ان حلب معدودة من القديم من عواصم الشيعة خصوصا ايام حكم الحمدانيين والفاطميين والمرداسيين وقد اخرجت خلقا من مشاهير علماء الشيعة وادبائهم كابن البراج وابن الصلاح وبني زهرة وغيرهم واما الشعراء والادباء فاكثر من ذلك وحسبك منهم ابن خالويه والأمير ابو فراس وكشاجم وخلق كثير غير هؤلاء ومن الأدلة الواضحة على انتشار مذهب الإمامية في حلب ما ذكره ابن خلدون من ان صالح بن مرداس قد كان

شيعياً وأنه اقام الدعوة العلوية بالروحية حين ملكها ومن ذلك ما ذكره ياقوت في معجم البلدان نقلا عن ابن بطلان الطبيب المصري من أنه مر بحلب سنة ٤٤٠ فرأى الفقهاء فيها يفتون على مذهب الإمامية . ولاية حلب اليوم دولة مستقلة من الدول السورية التي أنشأها الفرنسيون بعد احتلالهم البلاد مثل دولة حلب ودولة دمشق ودولة لبنان الكبير ولكل دولة من هذه الدول مستشارون فرنسيون لهم القول الفصل في شؤون البلاد ويدعى رئيس الحكومة فيها (حاكم دولة حلب) وعلى كل دائرة من دوائر الحكومة رئيس وفي حلب جيش فرنسي كبير ومركز للقواد وجل تجارة حلب بين المسلمين فهي من هذه الوجهة عكس بغداد حتى ان حركة التجاره تبطل يوم الجمعة كما تبطل يوم السبت في بغداد وينسج في حلب منسوجات كثيرة مختلفة من الحرير والقطن والكتان والخز والقصب للنساء والرجال الا أن منسوجات دمشق احسن منها . وأقصر الليل في افق حلب سبع ساعات و٢٠ دقيقة وافقها يختلف اي يقصر عن الافق العراقي في بغداد وكربلاء والنجف مثلا بمقدار ٣٨ دقيقة ليلا ويزيد ٣٠ دقيقة نهاراً إذ أقصر ليالي العراق في العشر الأول من حزيران ثماني ساعات ودقيقتين وتطلع الشمس بعد الساعة التاسعة والخمسين دقيقة

متنزهات حلب

ومن متنزهات حلب (باب الفرج) و (السبيل) اما باب الفرج فهو ساحة او فضاء على شكل دائره محاطة بأبنية شامخة من الانزال والمقاهي والفنادق ويمتد من الساحة شارع واسع كله مقاهي بنيت على الطرز الحديث على حالة تأخذ بمجامع القلوب حسنا وبهجة وهنالك مجتمع

الحلبيين عصر كل يوم . اما متنزه السبيل فإنه في الجهة الغربية على نحو ميلين من المدينة ويتألف من حديقة ومقهى وبحيرة مسدسة ومحل لصيد الحمام وهو نوع من القمار والمكاسب الفاسدة المحرمة التي دخلت بدخول الأوربيين والافرنج إلى هذه البلاد يقصد الناس ذلك المحل يوم الجمعة وقد اعد اصحابه بندقيات صيدٍ وحماماً وعلى كل من يرغب في الدخول اعطاء رسم قدره نصف مجيدي وإذا شاء الداخل تناول بندقية ويطلق الحمام واحدة بعد الأخرى وهو يرمي والمتفرجون يتراهنون على من يصيب مثل الرهان على سباق الخيل

تربتها وحيواناتها

وتكاد تكون ارض حلب قدراً متوسطاً بين البقاع الجبلية والسهلية فإن ارضها مؤلفة من رواب وبطاح وهضاب واطية غير شاهقة لا تعلو عن سطح البحر اكثر من ٦٥٠ قدماً وتربتها حمراء تشبه من الالوان لون المغرة والفوه ومناخها معتدل وهواها ابرد من هواء العراق وفيها من الحيوانات الاهلية والمواشي ما في العراق من الابل والخيل والغنم والمعز والبقر والحمير وفيها من الخيل الجياد العربية ما لا يقل عما في بلاد العرب والعراق وهنالك نوع من الهجن في قدر الحمير ويغلب على حميرها من الألوان الاسود ويقل فيها الابيض ويغلب على غنمها البياض وبقرها اجود واعظم من بقر العراق . أما حيواناتها الوحشية فمنها الظبي والثعلب والضبع والذئب والأرنب لا فرق بين الثلاثة الأولى وبين ما يوجد من امثالها في العراق ولكن ذئبها اكبر واشرس من ذئب العراق يفترس الواحد والاثنين من الرجال إذا كانوا عزلا من السلاح وارانبها ثلاثة

انواع دكناء تشبه ارانب العراق وسوداء مطوقة ببياض ولها ايضاً غرر وفي صدورها كذلك بياض وبيضاء فيما عدا الآذان والخدود فإنها سود ومن طيورها ودواجنها على الإجمال الدجاج والحمام والعصافير واللقالق والفواخت المطوقة والغربان البقع والخضر والخطاطيف لا فرق بينها وبين ما يوجد من انواعها في العراق إلا الفواخت فإنها اشد اصفراراً من فواخت العراق مع اختلاف ظاهر ايضاً بين الجنسين في ترجيع الأصوات

وفي اباطح حلب ينابيع مياه ردية تدفع في نهر خاص حفر لها وذلك لئلا يسيل على الأرض او تمتزج بماء (قويق) فتفسد الماء والهواء وتنصب إلى بطيحة محاطة بالجبال واقعة بين محطتي تلجين وابو ظهور من محطات القطار الواصل بينها وبين دمشق الشام طولها ٣ اميال في عرض ميلين تنبت فيها بعض الأنبتة المائية مثل الاسهل والقصب والكولات وهو فصيلة من نبات البردي ويقطعها القطار عرضاً

من حلب الى حماة

برحنا حلب الشهباء يوم الاثنين ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٤١ في الساعة ٩ و٢٥ دقيقة ليلا أي بعد طلوع الشمس وذلك بعد أن امضينا فيها اسبوعا كاملا وركبنا القطار من محطتها الواقعة على مسافة ميل غربي البلدة وقد اقلع القطار في الساعة ١١٧ إلى محطة (الوضيحي) وصلناها بعد ٢٠ دقيقة وهي قرية صغيرة حولها بساتين تسقيها عين صغيرة ثم محطة (الحميدي) تبعد عن الوضيحي ٣٠ دقيقة وفيها منازل للأعراب فقط ومزارع للحبوب على الامطار ثم محطة (تلجين) تبعد عن الحميدي ٢٥ دقيقة ماؤها من الجباب جمع (جب) وهو البئر إن لم تكن مطوية ثم محطة (ابو ظهور)

تبعد عن (تلجين) ساعة . وهي قرية فيها بعض البساتين ثم محطة (ام رجيم)
تبعد عن ابو ظهور ٤٥ دقيقة وهي بر اقفر ماؤها من الجبال ثم محطة
(الحمدانية) تبعد عن (ام رجيم) ٤٠ دقيقة وهي برية ماؤها من الجباب
وفيها حامية عسكرية فرنسيه ثم محطة (الكوكب) تبعد عن الحمدانية
٣٠ دقيقة وفيها منازل للاعراب ماؤها من الجباب ثم محطة (قوم خانة)
تبعد عن الكوكب ٤٠ دقيقة ينزلها الأعراب ماؤهامن الجباب ثم محطة
(حماة) تبعد عن قوم خانة ٣٠ دقيقة وفيها نزلنا من القطار الساعة ٤ و٣٠
دقيقة حيث اقلتنا المركبة إلى المدينة وبينهما مسافة ميل ونصف وقد ذهبنا
رأساً إلى نزل الزهراء

حماه

مدينة متوسطة على ضفتي نهر العاصي الآتي ذكره تحدق بها الجبال
من جهاتها الأربع واهلها عرب واخلاقهم عربية لا يزالون بعيدين عن
التفرنج وتقليد الأوربيين وكذلك عمارتها على الطرز الشرقي القديم اللهم
الاّ ما كان من دور بعض الأغنياء ودار الحكومة والفنادق وهي من
المدن القديمة اسمها قديماً (افاميه) فتحها خالد بن الوليد وابو عبيدة عامر
بعد حمص سنة ١٤ واليها ينسب ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان
المشهور المتوفى في بغداد سنة ٦٢٦ وكانت عاصمة الملك المؤيد ابي الفدا
صاحب التاريخ وقد ولد بدمشق سنة ٧٣٢ وفي المدينة سوقان في كل
جانب سوق على الطرز العربي وقد فرشت كل اسواقها وشوارعها بالحجر
وفيها بعض الشوارع الواسعة الحديثة واكثر سكانها مسلمون على مذهب
اهل السنة اذ يؤلفون ٩٠ في الـ ١٠٠ من مجموع السكان والباقون نصارى

وليس بين سكانها شيعي ولا يهودي وهي الآن مركز لواء من اعمال حلب يحكمها متصرف وفيها حامية عسكرية فرنسية وعامل فرنسي ومن آثارها قلعتها المشهورة واقعة على جبل وسط المدينة محيط بالجبل خندق كخندق قلعة حلب وهذه القلعة قديمة وكانت عامرة ضخمة العمارة على ما ذكره المؤرخون ولكنها الآن خربة دارسة لم تبق منها إلاّ الرسوم وقد اشتهرت حماة بمنسوجاتها الحموية المعروفة وهي اهم صادراتها إلى البلدان النائية على اختلاف تلك المنسوجات من قطنية وحريرية وصوفية معمولة بالقصب على هيئات مختلفة

ماء حماه وبساتينها

تروى حماة من نهر العاصي وهو يشطر البلدة شطرين مخرجه من بحيرة (قدس) قرب حمص طولها ١٢ ميلا في عرض ٤ اميال وهي بين حمص وجبل لبنان تنصب اليها مياه تلك الجبال ثم تخرج منها فتصير نهراً عظيما ثم يصب في البحر قرب انطاكية على ٥ مراحل منها وعرض هـذا النهر ١٥ مترا يخترق حماة من المشرق إلى المغرب وقيل انـه انمـا سمي (العاصي) لأن اكثر الأنهر تتجه ذات الجنوب وهو يأخذ ذات الشمال ذكر ذلك ياقوت ثم قال وليس هذا بمطرد وهو قول صحيح فإن نيل مصر كذلك ويسقي النهر بساتين حماة على ضفتيه وهي أوفر واظهر عمرانا من بساتين حلب وفيها من الاشجار الجوز والحور والصفصاف ما ليس في حلب كما أن في حلب من اشجار الفستق والزيتون والليمون ما ليس في حماة وتزرع في حماة الحبوب والذره والحمص وفيها ما يزيد على مائـة ناعورة تدار بالماء لشدة انحداره ولو كان لهذا النهر حوض واسع ومجال

كبير لعمرعليه من المزارع والبساتين اضعاف ما نراه الآن لتوفر مياههم وجودتها ولكن منع من ذلك احاطة الجبال الوعرة به احاطة السوار بالمعصم والهالة بالقمر إذ ان الأرض من حلب إلى حماة جبلية صرفة ليس فيها شيء من السهول ومناخ حماة ومواشيها وحيواناتها الاهلية والوحشية مثل ما رأيت في حلب الا أن الخيول فيها قليلة وقد بارحنا حماة عصر الثلاثاء في١١ ذي القعدة سنة ١٣٤١ قاصدين حمص فطرابلس فبيروت فدمشق وفضلنا ركوب السيارة على القطار لقرب موسم الحج الشريف فقمنا من حماة ووصلنا إلى (ارتق) الساعة ٩و٣٠ دقيقة وهي بلدة صغيرة على جبل يسقيها نهر العاصي وتزرع فيها الحبوب بكثرة على الأمطار ومنها سافرنا إلى (تلبيسا) وهي قرية دون (ارتق) بقليل بينهما مسافة قصيرة تقطعها السيارة في ١٥ دقيقة وفيها بساتين كثيرة أكثرها كروم تسقى من بحيرة تجتمع فيها مياه الأمطار وتبقى طول السنة ثم واصلنا المسير إلى حمص فجئناها بعد الساعة ال٩ و٥٥ دقيقة ونزلنا في فندق (المنظر الجميل)

حمص

مدينة كبيرة اكبر من حماة لا تضايقها الجبال مثلها بل الجبال من جهاتها الأربع على مسافة ميل واحدواكثر لطيفة المنظر محاطة بالبساتين على فواصل قليلة أكثر عماراتها على الطرز القديم فيها عمائر قليلة على الطرز الحديث اسواقها كثيرة جميلة عارية السقوف واسعة الشوارع ومن جملتها شارع فخم انيق تقوم على جانبيه عمارات جليلة واسعة تحيط بها الحدائق والجنينات وهو متنزه المدينة ومتنزهها الثاني نهر العاصي وفي حمص جامع

فاتحها خالد بن الوليد وفيه قبره وفي بعض الآثار التاريخية أن اصل هذا الجامع دار خالد بن الوليد وقال بعضهم إنه مات في المدينة ودفن فيها قال ياقوت وهو الأصح* وصحن الجامع مربع طول كل ربع منه ٥٠ قدماً وقد عقدوا سقف قسم من الجامع طوله ٤٠ قدماً وعرضه كذلك على اربع (اسطوانات) من الرخام الأبيض بين كل سارية واخرى عشرون قدماً بنيت على طرز خاص نفيس وفي الجهة الغربية من الجامع قبر خالد بن الوليد عليه شباك من النحاس الأصفر وقبة ومأذنتان من اعلا الجامع وعلى القبر قناديل عظيمة وهو مزار اهل حمص ونواحيها وداخل الشباك محراب ثان لابنه عبد الرحمن وفي الجهة الشرقية قبر آخر لا شباك عليه يزعم اهل حمص أنه قبر عبيد الله بن عمر والصحيح أن قبر عبيد الله بن عمر في مكة المكرمة في طريق ادنى (الحل) وهو ميقات العمرة المفردة وقد رأيته . وحمص من مدن الشام القديمة بناها اليونانيون على قول اهل السير واما فتحها فذكر المنذر عن ابي مخنف أن ابا عبيدة بن الجراح لما فرغ من دمشق قدم أمامه خالداً بن الوليد وملحان بن زيار الطائي ثم تبعهما فلما توافوا بحمص قاتلهم اهلها ثم لجأوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح فصالحوه على ١٧٠ الف دينار قال ابو مخنف اول راية وافت للعرب حمصاً ونزلت حول مدينتها راية ميسرة بن مسرور العبسي واول مولد ولد للإسلام بحمص ادهم بن محرز وللواقدي وغيره في فتحها كلام حسن مبسوط فراجعه إذا شئت وقد ذكر ياقوت أن في حمص كثيرا من مشاهد الصحابة والتابعين ومزاراتهم سوى ما تقدم ذكره فمن ذلك على ما ذكره مشهد للإمام امير المؤمنين (علي) عليه السلام فيه عمود فيه موضع اصبعه ورآه بعضهم في المنام ومن

ذلك قبر قنبر مولى الإمام ويقال إن قنبر قتله الحجاج وقتل ابنه مع ميثم التمار في الكوفة وقبور لأولاد جعفر بن ابي طالب وهو جعفر الطيار وغير ذلك وقال ايضا قيل بها قبر عبيد الله بن عمر بن الخطاب والصحيح أن عبيد الله قتل بصفين فإن كانت نقلت جثته إلى حمص فالله اعلم ويقال إن خالد بن الوليد مات بقربه على نحو ميل واحد من حمص وأن هذا الذي يزار بحمص قبر خالد بن يزيد بن معاوية وبالجملة ففي هذه القبور كلام مختلف على القارئ اللبيب والباحث المنقب تمييزه وتحريره . وفي حمص من الآثار قلعة دارسة لم يبق منها إلا الرسوم على جبل وسط المدينة ويحيط بها خندق ومن آثارها سور محدق بالبلدة وهي مركز لواء من اعمال دمشق يحكمها متصرف

اخلاق سكانها ومذاهبهم

أخلاق الحمصيين عربية حسنة يألفون الغريب ولكنهم اخذوا يقتبسون بعض عادات الأفرنج ويقلدون الأوروبيين في اوضاعهم واخلاقهم المضرة اقتداء بمدن سوريا الكبيرة واكثر السكان مسلمون منهم ٣ او ٤ اسر شيعية فقط مع أن اصحاب السير اشاروا إلى انتشار التشيع في حمص وما يليها وذلك في صدور الإسلام ومما يدل على ذلك ما صرّح به ياقوت فقد قال في هذا الباب من عجيب ما تأملته من امر حمص فساد هوائها وتربتها اللذين يفسدان العقل حتى يضرب بحماقتهم المثل إن اشد الناس على علي (رض) بصفين مع معاوية كان اهل حمص واكثرهم تحريضا عليه وجدا في حربه فلما انقضت تلك الحروب ومضى ذلك الزمان صاروا من غلاة الشيعة حتى أن في اهلها كثيراً ممن رأى

مذهب النصيرية واصلهم الإمامية الذين يسبون السلف . هـذا نص كلام ياقوت والله تعالى اعلم وفي حمص عدد قليل من النصارى ولا اثر فيها لليهود

صناعة حمص وزراعتها

يِنسج في حمص كل ما ينسج في حماه من الأقمشة والالبسة النفيسة وهي من اهم صادراتها إلى البلدان البعيدة وتجارتها بذلك رائجة ويروي حمص نهر العاصي المار ذكره يأتيها من جهتها الغربية وحين يصير على مقدار ميل منها يتفرع منه جدول عرضه ٤ امتار يخترق البلدة ومنه يستقي الناس فإنه يحمل داخل القساطل إلى محلات المدينة وتذهب فضلاته إلى البساتين ويزداد نهر العاصي في حمص فيبلغ ٢٠ متراً وفيه اسماك متنوعة وعليه بساتين اكثر واحسن من بساتين حماة وله هنالك شاطئ جميل توجد فيه مقاهي عديدة هي نزهة الحمصيين إذ يخرجون عصر كل يوم ويقيمون إلى المساء وتزرع في حمص ونواحيها الحبوب والذرة والحمص ومناخها ابرد من مناخ حلب وحماة وارتفاعها عن سطح البحر ٩٠٠ قدم وفيها من المواشي والحيوانات والطيور ما في حلب وحماة .

برحنا حمص منتصف نهار الخميس ١٣ ذي القعدة سنة ١٣٤١ على مركبة إلى محطتها الواقعة مسافة ميل جنوبي البلدة ومنها اقلع بنا القطار في الساعة ٦ و ٣٠ دقيقة نهارا فجئنا محطة (خربة التين) تبعد عن حمص ٢٠ دقيقة ينزلها الأعراب وماؤها من الجباب ثم محطة (كزلا خير) تبعد عن خربة التين ٢٠ دقيقة ثم محطة (الحديدى) تبعد عن (كزلا خير) ١٨ دقيقة وهي ايضاً قرية صغيرة تروى من عين فيها بعض البساتين ثم محطة

(المكاري) تبعد عن الحديدي ٢٨ دقيقة وهي قرية ماؤها من الجباب ثم محطة (تل عباس) تبعد عن المكاري ساعة وهي قرية كبيرة في سهل واسع حولها قرى ومنازل للأعراب كثيرة تروى من عين تسقي بساتينها و كل ما يزرع في ذلك السهل من الحبوب والذره والحمص ثم محطة (العبدي) تبعد عن تل عباس ٣٠ دقيقة وهي قرية سهلية يتصل سهلها بسهل سابقتها والبحر الابيض الرومي منها على مقدار ميلين حولها قرى ومنازل للاعراب ومزارعها كثيرة متصلة بمزارع تل عباس يرويها نهر منبعه من عين تل عباس ثم محطة (طرابلس الشام) وردناها الساعة ١١ و ١٠ نهاراً وهي غربي المدينة على ساحل البحر تبعد عنها ميلاً ونصف ميل وقد اقلتنا من المحطة مركبة إلى البلدة ونزلنا في نزل (فرنسا)

طرابلس الشام

بلدة حسنة لطيفة المنظر دون حمص تقع على ساحل البحر الرومي يكتنفها البحر من الغرب والشمال والجنوب ويطل عليها من المشرق جبل عال وعمارة المدينة متصلة بالجبل يعلو بعضها على بعض واكثرها على الطرز الحديث اسواقها كثيرة غير مسقوفة وشوارعها واسعة مفروشة كلها بالحجر الأسود بساتينها كثيرة بينها وبين البحر من جهة الغرب يغرس ويزرع فيها كل ما يغرس ويزرع في حلب وحمص وحماه وفيها فضلا عن ذلك الموز والصبيرة او البرشوم كما يقال له في نجد والحجاز وفيها نخيلات جيدات لا يعرف الطرابلسيون قدرها إذ يجنون ثمرها قبل الإرطاب بل قبل الاصفرار وفي طرابلس مصانع كثيرة للصابون وهو جل تجارتها ومن اهم صادراتها ولها ميناء واسعة على البحر لا تقل عن

نصف المدينة وفيها دائرة المكس ومحل كبار التجار وسوق واحد وهي متنزه المدينة لكونها مطلة على البحر وتصلها بالبلدة محجة حديد أكثر سكانها مسلمون على مذهب اهل السنة وبعدهم النصارى وليس فيها يهود ولا شيعة وقد اقتبسوا حضارة اوروبا . وفشا فيهم التهتك والخلاعة وفي وسط المدينة جبل عليه قلعة عامرة على قدمها بنيت بالحجر الضخم طولها ٢٢٥ قدماً وعرضها ١٠٠ قدم تتألف من ثلاث طبقات علوها ٦٠ مرقاة ارتفاع كل مرقاة عن الأخرى نحو ذراع وعرض الأساس نحو ٤ امتار وفي وسطها قلعة اخرى صغيرة وفي وسطها ثالثة اصغر كل قلعة محصنة في وجه الأخرى حتى حفروا خندقا بين باب القلعة الأولى والثانية وكان عليه جسر وفي زاويتها الغربية ٤ ابراج محصنة ومثل ذلك في الشرقية وفي كل من زاويتها الشمالية والجنوبية برجان محصنان ومحيط بالجبل خندق وفي وسط القلعة مغارات وانفاق من رأس الجبل إلى الأرض وتحتها ايضاً طرق طول بعضها ٣ اميال ومنها ما ينتهي إلى البحر وقد اتخذها الأتراك سجنا ومخزنا للمدافع القديمة وذخائرها وهي كذلك إلى الآن وهي مركز لواء من اعمال بيروت يحكمها حاكم اداري وتسقى من نهرين (نهر رشعين) ونهر (ابو علي) منبع الأول من عين رشعين الواقعة على ١٢ ميلا شرقي البلد ويمر النهر المذكور بالجبل ويجري من سفحه بالقساطل إلى احياء المدينة ومنبع نهر ابو علي من عين (قاديشا) على مسافة ١٥ ميلا جنوب المدينة يمرّ ايضاً بالجبل ثم يقطع البلد عرضاً حيث يبلغ عرضه زهاء ٥ امتار وماؤه رديء غير شروب تسقى به البساتين وتصب فضلاته في البحر

متنزهات طرابلس

ومن متنزهاتها الموضع المعروف بـ (البداوي) الواقع مسافة ميـل شمالي المدينة فيه بساتين كثيرة ويتحلب اليه من جهة الجبل ماء كثير ينز من الأرض يجتمع في بركة مستديرة دائرتها ٥٠ مترا على التقريب عملت خاصة لتجتمع فيها تلك النزوز لئلا تستنقع وينفذ الماء المجتمع من تلك البركة الى البساتين ولا يبقى فيها الا ماعمقه متر واحد من الماء على الدوام ومن لطيف صنع الباري تبارك وتعالى وجود السمك الكثير المختلف الألوان والأشكال في البركة المذكورة منه ما طوله نصف متر ومنه قدر شبر وهو سمك مقدس محترم عند الطرابلسيين لا يصاد ولا يؤكل بل تراهم يتعهدونه بالطعام وينثرون له الخبز فتدنو جماعات السمك منهم وتأكله بأمان وبغير وجل من الناس حتى أن السمك يخرج من البركة إلى البساتين ويعود اليها ولا يتعرض له البستانيون وقد يخاله الرائي لشدة صفاء الماء انه على الأرض ويدعي الطرابلسيون أن من صاده اواكله لا يهنأ له عيش ويخرج الطرابلسيون عصر كل يوم للتنزه هناك حيث توجد مقاهي كثيرة يأوي اليها المتفرجون وهواء طرابلس حار لكونها بحرية ولكن لا كحرارة هوآء العراق نعم هو احر من هواء حلب بيسير وفي طرابلس من المواشي والحيوانات الأهلية والوحشية والطيور ما في حمص إلا أن فيها نوعاً من الحمير اسود اللون حسن الشكل اكبر من حمير العراق البيض يتخذها الطرابلسيون للركوب وفيها فضلا عن ذلك اطيار مائية كا (القاق) والا (غوص) وملاعب ظله

برحنا طرابلس يوم الأحد الموافق ٦ ذي القعدة سنة ١٣٤١ إلى

بيروت على سيارة إذ لا توجد بينهما سكة حديد وكان سفرنا في الساعة
ال ٨ فوصلنا بعد ١٥ دقيقة إلى (القلمون) وهي قرية صغيرة ذات بساتين ثم
إلى (انفه) قرية أكبر من القلمون ذات بساتين تبعد عن القلمون ٢٥ دقيقة
ثم (سكة) قرية اكبر من انفة تبعد عنها ٣٠ دقيقة فيها بساتين اكثر
شجرها الزيتون ثم (البترون) بلدة لطيفة ذات بساتين كثيرة أكثرها
التين كل سكانها نصارى تبعد عن سكة ١٠ دقائق ثم جبيل وهي بلدة
كبيرة ذات آثار قديمة مهمة ثم نهر ابراهيم قرية صغيرة حولها البساتين
اكثرها التين تبعد عن جبيل ٢٠ دقيقة ثم (جونيه) بلدة اكبر من
البترون وجونيه جيدة العمارة على الطرز الحديث تصلها ببيروت سكة
حديد وهي مينا جبل لبنان وفيها بساتين كثيرة يكثر فيها الموز تبعد عن
نهر ابراهيم ١٥ دقيقة ثم (ضبيه) بلدة مثل جونيه عمارة وقدراً تبعد عنها ١٨
دقيقة ثم (انطلياس) قرية صغيرة ذات بساتين اغلبها الموز تبعد عن ضبيه ١٨
دقيقة ثم (الياس) بلدة حسنة عامرة ذات بساتين اغلبها التوت تبعد عن
ضبيه ١٠ دقائق ثم بيروت واعلم أن هذه الطريق التي سلكناها بين
طرابلس الشام وبيروت كلها على البحر وقد ذكرنا اكبر واشهر ما فيها من
القرى والبلدان التي يمكن النزول والإقامة فيها والا فالطريق كلها عامرة
بالبساتين والمنازل واما السكان فإنهم نصارى بأجمعهم إلا سكان القلمون
وانفه فإنهم خليط من المسلمين والنصارى واما المياه فإنها من عيون تنبع
من الجبال إذ هي ممتدة مشرفة على ساحل البحر على طول الطريق معدل
بعدها عن البحر ميلان وبالجملة فهذه الطريق ومافيها من القرى والبلدان
والمنازل والبساتين محصورة بين الجبل والبحر الجبل يحدها من جهة الشرق
والبحر من جهة الغرب فسبحان الخالق العظيم المدبر الحكيم الذي ارسى

تلك الجبال وانبط منها الماء الزلال إنه الكريم المتعال وقد دخلنا مدينة بيروت الساعة ١١٫٧ نهاراً

بيروت

استوقف المسافرين في مدخل بيروت درك فرنسي فقيدوا رقم السيارة واسم سائقها وسألوه من اين جاء وإلى اين يريد ثم تركوناوشأننا فسرنا إلى مخفر آخر شرطة محلية ففعلوا كما فعل الأولون ثم دخلنا المدينة وذهبنا تواً إلى نزل (وندسر) اما بيروت فإنها حاضرة كبيرة من حواضر سوريا ضخمة العمارة واسعة الشوارع على الطرز الحديث وهي دون حلب إلا انها تفوقها كثيراً من حيث العمران والنظام ومن حيث كونها ميناء على البحر الأبيض المتوسط الذي يكتنفهامن جهاتها الثلاث امامن جهة الشرق فيطل عليها جبل لبنان الشهير اسواقها عامرة حافلةانشئت على الطرز الحديث وتجارتها رائجة لأنها مرسى البواخر التي تقصدها من جميع الجهات وفيها سكةالجر الكهربائية (الترامواي) محطتها الكبيرة في ساحة البرج ومنها تتفرع الفروع في الشوارع الكبيرة ولها مواقف ازاء كل شارع للنزول والركوب

جامع بيروت

وفيها جامع صغير ولكنه يسمى الجامع الكبير فيه مقام نبي الله يحيى ابن زكريا على نبينا وعليه الصلاة والسلام ويزعم البيروتيون أنه مدفن رأسه الشريف وطول الجامع ست اسطوانات في عرض ٤ بين كل اسطوانة واخرى ٧ اقدام وهذه الاسطوانات كلها معقود عليها بالحجر مقام النبي في الزاوية الجنوبية

بين الاسطوانتين الثانية والثالثة مما يلي الغرب عليه شباك من النحاس الأصفر من دون قناديل اوزينة وصحن الجامع مربع كل ربع منه ٥٠ قدماً وهو مفروش بالسجاد وليس له من جامع حلب ومقامه اللذين مرّ بك ذكرهما إلا الإسم فقط وليس من الغريب في بيروت قلة العناية في جوامعها ومعابدها فإنها مدينة افرنجية بحتة اقتبس اهلها حضارة اوروبا وعاداتها على علاتها وآفاتها التي لا تعد ولا تحصى وفشت الخلاعة حتى لا ينكر جلوس النساء في المقاهي المكتظة بالناس المشتملة على آلات اللهو والطرب وهي لا تقفل حتى الصباح واكثر سكان بيروت نصارى ويؤلف المسلمون ٣٠ في الـ ١٠٠ من مجموع السكان ثلثهم من الشيعة والباقون على مذهب اهل السنة وفيها قليل من اليهود وبيروت بلدة تجارية فهي من حيث الصناعة دون حلب وحمص وحماة ولكنها تفوق هذه البلدان في حركتها التجارية

ماء بيروت

يرويها نهران احدهما (نهر بيروت) والآخر (نهر الكلب) ومنبع نهر بيروت من جبل لبنان عرضه زهاء ١٥ متراً يقع على نصف ميل من المدينة شرقا وماؤه رديء لايشرب وإنما يسقي البساتين وينصب باقيه إلى البحر وهو يفيض في الشتاء فقط واما مياه شرب البيروتيين فإنها من نهر الكلب الذي هو على ٦ اميال من المدينة منبعه من عين (جعيتا) في سفح جبل لبنان وعرضه زهاء ٢٠ متراً ويجلب بالقساطل الى (ضبيه) القرية المار ذكرها وبينها وبين منبعه ٣ اميال وفي (ضبيه) يصب في بحيرة عليها آلات رافعة ترسله بعد التصفية إلى مدينة بيروت ويتوزع على مافيها من الأحياء

والمحلات وتذهب منه فروع إلى البساتين ويصب باقيه في البحر

فوائد شتى عن بيروت

في بيروت من الحيوانات والمواشي الأهلية والوحشية والطيور البرية والمائية ما في غيرها من بلاد سوريا نعم نشاهد فيها من الخيل الجياد ما شاهدناه في حلب ويقتني اهلها الحمير الفارهة للركوب ولديهم جنس اسود حسن الشكل كبير الجسم اكبر من حمير العراق البيض ومناخها لمكان البحر احرّ من مناخ حلب وحمص وحماة وابرد من مناخ العراق وهي كطرابلس تماماً من هذه الوجهه ومتنزه بيروت (ساحة البرج) وهي ساحة مستطيلة وسط المدينة طولها ٣٠٠ قدم في عرض ١٦٠ قدماً تقريبا فيها محطة سكة الجرّ العامة وفيها جنينتان ومقاهي كثيرة وقصور شاهقة وانزل فخمة وعدد من البساتين اكثرها شجر التوت يغرس لتربية دود الحرير واما بقول بيروت وفواكهها فإنها تجلب من القرى المار ذكرها وهي اليوم مركز لواء يحكمها حاكم اداري وقد اتخذت عاصمة للبنان الكبير بعد تقسيم فرنسا للبلاد يقيم فيها القائد الفرنسي العام وكثير من الجنود الفرنسية

من بيروت الى دمشق

برحنا بيروت إلى دمشق صباح الخميس ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٤١ بعد طلوع الشمس بنصف ساعة وفضلنا ركوب السيارة على القطار لسرعتها إذ انها تقطع الطريق إلى دمشق في ٣ ساعات ولا يقطعها القطار بأقل من ٨ ساعات وقد قمنا من بيروت إلى (الجمهور) فوصلناها بعد ١٥ دقيقة وهي قرية

صغيرة تعد اول جبل لبنان حولها بساتين كثيرة وغابات الصنوبر الشهيرة ثم (عارية) تبعد عن الجمهور ٢٥ دقيقة وهي قرية صغيرة حولها بساتين كثيرة يكثر فيها التوت ثم (عاليه) تبعد عن عارية ١٥ دقيقة وهي بلدة متوسطة على ذروة جبل حولها قرى وبساتين و كروم كثيرة ثم (بحمدون) تبعد عن عاليه ١٠ دقائق وهي قرية فيها بساتين قليلة ثم (صوفر) تبعد عن بحمدون ١٥ دقيقة وهي بليدة على جبل حولها بساتين اكثرها الزيتون ثم (حمانه) تبعد عن صوفر ١٧ دقيقة وهي قرية تزرع فيها الحبوب وليس فيها اغراس ثم (المريجات) تبعد عن حمانه ١٠ دقائق وهي قرية فيها بساتين وكروم كثيرة ثم (شتوره) تبعد عن المريجات ١٥ دقيقة وهي قرية فيها بساتين وغابات من الجوز والصفصاف ثم (سهل البقاع) يبعد عن شتوره ١٠ دقائق

سهل البقاع

هو بعد حوران اكبر سهول سوريامشهور بالخصب وجودة الانبات وكثرة المياه التي تسيل اليه من جبال لبنان غربا وجبال الشام شرقا حتى يتألف منها بعض الانهار وتزرع فيه الحنطة والشعير والذره والحمص والعدس وفيه قرى ومنازل للعرب كثيرة اهلها عاملون على الزرع وتربية الغنم والبقر اما بقر الشام البقاعي فهو صغير اشبه ببقر الحواضر ويغلب عليه السواد كما يغلب على غنمه من الألوان البياض وسهل البقاع مشهور ومعروف في التاريخ الإسلامي وقد سماه المسلمون (مرج الروم) ويسمى ايضاً (البقاع العزيز) ويعرف بكتب النصرانية بـ (وادي لبنان) وقد سرنا منه إلى وادي الحرير وبينهما ٣٠ دقيقة بالسيارة ووادي الحرير

هو الحد الفاصل بين اعمال دمشق ولبنان ثم (الهامة) تبعد عن وادي الحرير ١٥ دقيقة وهي قرية ذات بساتين ثم (دمر) تبعد عن الهامة ١٠ دقائق وهي ذات بساتين جمة ثم (دمشق الشام)

دمشق الشام

جنة الآفاق وعاصمة سوريا على الإطلاق قلّ أن تجاريها مدينة من مدن الشرق والغرب في بهجتها وحسن عمارتها وكثرة مياهها وخيراتها وهي من اقدم المدن على وجه الأرض يرتقي بناؤها إلى الوف من السنين وقد قيل ان اول حائط وضع بعد الطوفان في الأرض حائط دمشق وحران وفسر بعضهم قوله تعالى (وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قائلا هي دمشق ذات قرار وذات رخاء من العيش وسعة ومعين كثيرة الماء وقيل في قوله تعالى (التين) الجبل الذي عليه دمشق (والزيتون) الجبل الذى عليه بيت المقدس وغوطتها احدى جنات الأرض وعجائبها المشهورة المأثورة قال ابو بكر الخوارزمي جنات الدنيا اربع غوطة دمشق وصغد سمرقند وشعب بوان وجزيرة الإبلة وقد رأيتها كلها وافضلها دمشق فتحها المسلمون في رجب سنة ١٣ بعد واقعة (اليرموك) وهو نهر بأرض الشام جنوب دمشق كانت به الوقعة الفاصلة التي انتهت باستيلاء المسلمين على معظم بلاد الشام وهي بين جنود الروم وابي عبيدة بن الجراح وخالد ابن الوليد واسمها بالمصري القديم (دمسكو) ومنها اشتق اسمها عند العرب وكانت قاعدة الدولة الأموية ووفد عليها إذ ذاك من اقاصي بلاد العرب ووجوه القبائل وشعرائها وبني فيها الجامع الأموي وقصده طلاب العلم من جميع الآفاق وقد اكثر الشعراء والأدباء من اطرائها ووصفها

والحنين اليها ومن اشهر ما جاء فيها قول البحتري

اما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفا لك مطريها بما وعدا
إذا اردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقاً ويصبح النبت في صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفا خضلا او يا نعاً خضراً او طائراً غردا
كأنما القيض ولى بعد جيئته او الربيع دنا من بعد ما بعدا

وقال الصنوبري

صفت دنيا دمشق لساكنيها فلست ترى بغير دمشق دنيا
تفيض جداول البلور فيها خلال حدائق ينبتن وشيا
مكللة فواكههن ابهى الـ مناظر في مناظرنا واهيا
فمن تفاحة لم تعد خداً ومن اترجة لم تعد ثديا

دخلنا دمشق الشام الساعة ١٧ نهاراً فاستقبلنا في مدخلها مخفر شرطة عربية اعادوا علينا اسئلة شرطة بيروت ثم تركناهم إلى المدينة وذهبنا رأساً إلى نزل (انكلترا) حيث امضينا فيه يومين ثم انتقلنا إلى دار خاصة استئجرت لنا في الصالحية ودمشق اكبر حاضرة في سوريا واضخم حاضرة عمرانا خصبة التربة كثيرة المياه والضياع والبساتين والحدائق جمة الفواكه والأثمار حسنة الموقع بديعة الموضع والمنظر تشرف عليها الجبال من جهة الشمال والمغرب والجنوب وجهتها الشرقية سهل بسيط كله ضياع وإذا نظر الرائي إلى دمشق من احد جبالها حسبها غوطة واحدة وجنة غناء وغابة غبياء إذ قلما خلت دار من دورها اوساحة من ساحاتها من جنينات واشجار فضلا عما يحيط بها من البساتين الكثيرة ويقدرون محيط المدينة مع بساتينها بـ٣٠ ميلا ومما امتازت به بين مدن سوريا الكبيرة احتفاظها

بالطرز الشرقي النفيس في البناء والعمارة وان شيدت فيها عمارات على الطرز الحديث لكنها قليلة وليس لأسواقها نظير في الشرق في سعتها ونظامها وهندستها وسقوفها البديعة

تجارتها وصناعتها وزراعتها

أما تجارة دمشق فرائجة وأما صناعتها ففائقة لا تكاد تضاهى لاسيا في النسج على اختلاف اشكاله واجناسه من حريري وصوفي وقطني و كتاني وخزي مضرب بالقصب الفضي والذهبي فإن منسوجاتها من ذلك من انفس منسوجات الشرق ويتنافس فيها الشرقيون ويجهزونها إلى سائر الأقطار فهي قدوة المدن الشرقية في الصناعة وكذلك قل عن صناعتها الخشبية فإنها لا تناظر في اللطف والنفاسة إذ يصنع انواع من الكراسي والمقاعد والموائد والأسرة والخزانات مطعمة بالزجاج والصدف على اشكال هندسية متناهية باللطف تكاد تأخذ بمجامع قلوب الناظرين اليها وهي ايضاً مما يتنافس فيها المتنافسون ويبذلون في الحصول عليها اغلا الأثمان ومن اشجارها الزيتون والجوز والمشمش والأجاص والكمثرى والتفاح وفيها كروم كثيرة تعطي انواعاً من الأعناب وكذلك التين والرمان والصبيرة واشجار واثمار شتى ويستثنى من ذلك الليمون والموز والفستق فإن اشجارها لا تنمو في تربة دمشق ويزرع فيها كثير من الحبوب والقطاني

انهار دمشق

وتخترق البلدة وبساتينها عدة انهار اصلها كلها من « بردى » و« عين الفيجة » ومنبع الفيجة من تحت كنيسة الفيجة على ٩ اميال غربي المدينة

ومخرج بردى كذلك من مكان يقال له (قنوي) من (كورة الزبداني) يبعد عنها ٢٤ ميلا ويمر في طريقه على بساتين وضياع ثم يختلط بنهر الفيجة ويتفرّع من بردى بعد اختلاطه بالفيجة وقبل وصوله إلى (وادي الربوه) على ٤ كيلومترات من دمشق إلى ٦ جداول وانهار تجوس خلال البساتين والديار وبالجملة فأنهار دمشق ٧ وهي بردى وفروعه واليك اسماؤها ومقاديرها على وجه التقريب الأول [بردى] عرضه ١٢ متراً يخترق دمشق من مغربها إلى مشرقها وعليه ٥ جسور وقد اكثر الشعراء فيه ولا عجب فإنه من انزه انهار الدنيا فمن ذلك قول ذي القرنين ابي المطاع بن حمدان

سقى الله ارض الغوطتين واهلها فلي بجنوب الغوطتين شجون
وما ذقت طعم الماء إلا استخفني إلى بردى والنير بين حنين
وقد كان شكي في الفراق يروعني فكيف يكون اليوم وهو يقين
فوالله ما فارقتكم قاليا لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون

الثاني نهر [بانياس) قبلة نهر بردى عرضه ٥ امتار . الثالث نهر (يزيد) حفره يزيد بن معاوية لعنه الله في سفح جبل قاسيون اي الصالحية عرضه ٣ امتار . الرابع نهر [النوره] عرضه ٦ امتار واسمه في القديم نهر ثورا وكأنه صحف بعد ذلك . الخامس نهر [القنوات] عرضه متران . السادس نهر [عقربا] عرضه متران السابع نهر [الداراني] عرضه متران ونصف وفي الأربعة الأولى من هذه الأنهار يقول العماد الأصبهاني الكاتب من قصيدة

الى ناس باناس لي صبوة لها الوجد داع وذكري مثير
يزيد اشتياقي وينمو كما يزيد يزيد وثورا يثور
ومن بردى برد قلب المشوق فها انا من حرّه مستجير

ومن مزايا دمشق التي لا توجد في غيرها من البلدان مرور هذه الأنهار

في عماراتها ودورها على طرق واساليب غاية في الضبط والإتقان وحسن التقسيم والترتيب ثم تخرج من بعد المدينة إلى البساتين فتسقيها ثم تجتمع في بطيحة وراء البساتين واهل دمشق لا يشربون إلا من عين الفيجة إذ هو من اعذب مياه الدنيا واخفها وقد جلب بالقساطل من منبعه لهذه الغاية

جامع دمشق

لما فتح المسلمون دمشق سنة ١٣ حوّلوا قسما من كنيستها الكبيرة كنيسة يوحنا جامعاً لهم وهو هذا الجامع الأموي المشهور واول من بالغ في عمارته الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٨٧ وقيل سنة ٨٨ وزاد فيه من كنيسة يوحنا وانفق عليه خراج المملكة سبع سنين حتى اصبح من غرائب الآثار في الأرض قالوا عجائب الدنيا اربع قنطرة سبخة ومنارة الاسكندرية وكنيسة الرها ومسجد دمشق وقد جددت عمارته غير مرة لا سيما بعد الحرائق التي تعددت فيه فقد احترق سنة ٤٦١ اما عمارته الحاضرة فمن آثار الحكومة العثمانية وذلك على اثر الحريق الهائل الذي دمر الجامع سنة ١٣١١ واتلف اعمدته الرخامية النفيسة واخشابه ولم يبق منه الا السور والقبة وايوان بابه الغربي الكبير وبعض البيوت المبنية بالحجارة فأبقيت هذه على حالها بعد اصلاحها قليلا وجددوا عمارة جميع ما سواها . طول الجامع ٢٤ اسطوانة وعرضه ١٢ اسطوانة ويمتد سقفه في جهته القبلية على طوله كله وعلى ٣ بلاطات من عرضه ايضاً ويتألف سقفه هنا من الخشب والحديد وهو قائم على طبقتين من الأعمدة الرخامية وقبة معقودة على ٤ بلاطات ضخمة بين كل بلاطة واخرى ٢٠ قدماً وهي قبة رفيعة شاهقة متوسطة بين ٢٢ بلاطة من الجهة

الغربية ومثلها من الجهة الشرقية بين كل اسطوانة واخرى ٩ اقدام هذا من حيث الطول واما اساطين العرض فبين كل اسطوانة واخرى ٢٠ قدما وفي داخل الجامع مما يلي القبة قبر جليل فخم قد اشتهر انه قبر يحيى بن زكريا على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام وعليه شباك من النحاس الأصفر مع ٦ اعمدة من الرخام الابيض في الطول و٤ في العرض وعلى القبر قناديل ونفائس من الباور وبردة من الحرير الأخضر منسوجة بالقصب وضعت على الدكة داخل الشباك وفي وسط صحن الجامع حوض فيه ماء جار (ونوفرة) يخرج منها تظلله سقيفة بديعة قائمة على ٨ اعمدة من الرخام وبين هذه السقيفة وبين الرواق الغربي دكة اخرى عليها سقيفة قائمة على ٦ اعمدة من الرخام يجلس عليها القراء والعباد وبين الحوض والرواق الشرقي من الجامع سقيفة ثالثة قائمة على ٤ اعمدة يجلس اليها متولي الجامع ومتولي مشهد الرأس الشريف الآتي ذكره وفي الجامع ٤ ابواب وهي باب (جيرون) وباب (البريد) وباب (الزيادة) وباب (الفراديس) واربع منائر من جهاته الأربعة في كل جهة باب ومنارة وقد فرش القسم المسقوف من الجامع بكثير من السجاد وبالجملة فمحاسن هذا الجامع العظيم لا تحصى ولا تعد ومن شاء الالمام بذلك فعليه بمراجعة كتب التاريخ والآثار والمطولة

مشهد الرأس الشريف

وفي رواق الجهة الشرقية من الجامع قرب (باب الفراديس) قبة طولها ١٤ قدما في عرض ٧ اقدام فيها شباك من النحاس الأصفر بديع الصنع داخله قبر يزعم الدمشقيون انه مدفن رأس الإمام الشهيد ابي عبد الله (الحسين) عليه السلام وهناك قرب مدخل القبة المشار اليها موضع

آخر مفضض في الجدار يقولون انه موضع الرأس الشريف هذا مذهب القوم في مدفن رأسه الشريف وهو خلاف ما اشتهر عند الإمامية فالمشهور عندهم انه اعيد إلى كربلاء ودفن مع جسده الطاهر فيها وذهب بعض العلماء إلى أنه مدفون في النجف الأشرف بجنب امير المؤمنين عليه السلام على ما نقل عن جعفر الصادق عليه السلام من انه قال لولده اسماعيل أنه لما حمل إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب امير المؤمنين عليه السلام وهناك اقوال منها انه مدفون بـ (الحنانة) بين النجف والكوفة ومنها انه مدفون بـ (المدينة) عند قبر امه فاطمة الزهراء عليها السلام ومنها انه مدفون في مصر نقله اليها (طلائع ابن رزيك) من وزراء الفاطميين وبذل في سبيل ذلك اموالا طائلة واحتفل باستقبال الرأس اعظم احتفال والحاصل ان اقوال المسلمين عامتهم وخاصتهم مختلفه في هذا الباب اختلافا كثيرا ومما لا شك فيه ان الرأس الشريف حمل إلى دمشق الشام وبذلك ذمها بعض الشعراء فقال وقد رواه ياقوت في معجم البلدان

وقد قال قوم جنة الأرض جلق ... وقد كذبوا في ذا المقال ومخرقوا
فما هي الا بلدة جاهلية ... بها تكسد الخيرات والفسق ينفق
فحسبهم (جيرون) فخرًا وزينة ... ورأس ابن بنت المصطفى فيه علقوا

مشهد السيدة زينب عليها السلام

على مسافة ٤ اميال جنوب دمشق مشهد العقيلة الكبرى السيدة زينب عليها السلام وهو مشهد جليل ومزار كبير عليه قبة بيضاء يتردد اليه الزوار من اهل السنة والشيعة على السواء ويدعون زينب عليها السلام (السيدة) على الاطلاق ويتصل بالمشهد من جهة الجنوب جامع

امامه من جهة الغرب ساحة واسعة في حوض ماء جار اول مايدخل الداخل إلى تلك الساحة ثم إلى الصف وفيها باب المشهد ثم إلى الرواق المحيط بالمشهد ثم يدخل إلى القبر وهو وسط بناء مربع بين اربع اساطين بين الواحدة والأخرى ٩ اقدام وعليه شباك من الحديد مطلي بصباغ اخضر. داخله شباك آخر فيه القبر وعليه بردة من الحرير الأسود معمولة بالقصب وطرائف من القناديل واواني البلور وقد فرش المشهد كله بالسجاد اما الصحن والساحة فطولها ٤ اسطوانات في عرض ٣ والرواق مثله طولا ويقل عنه اسطوانة واحدة عرضا حولت تلك الاسطوانة إلى جامع وحول هذا المشهد قرية كبيرة وبساتين ومنازل كثيرة يقيم فيها الزائرون ويقوم فيها الشيعة خاصة من الدمشقيين بتمثيل واقعة الطف الفظيعة في هذا المشهد كل عام فيشرعون بالخروج من يوم تاسوعاء ويمثلون الواقعة الفجيعة في يوم عاشوراء حيث يهرع لمشاهدتها من أهل الشام نساء ورجالا خلق كثير لايقلون عمن يجتمع لمثل هذه الغاية في المشاهد الشريفة عندنا في العراق ويكثر هناك من النوح والبكاء والعويل ويجري من لعن بني امية وآل ابي سفيان والتلهف على اهل بيت الرحمة المظلومين مايجري في العراق وخازن مشهد السيدة هو السيد عباس مرتضى من اسرة علوية شيعية قديمة في دمشق وسدنة المشهد كلهم ايضا من الشيعة ولرقية بنت الحسين عليه السلام مشهد آخر داخل البلدة يزار وهي طفلة ماتت في دمشق بعد وصول الاسرى اليها على ما ورد في الآثار

عبرة للمعتبرين

من الواضح أن دمشق الشام عاصمة الأمويين وان اهلها كانوا

ولا يزال بعضهم إلى الآن من شيعة آل ابي سفيان وقد جدّوا واجتهدوا في استئصال اهل بيت الرحمة واطفاء نور الأئمة وهداة الأمة عليهم السلام وتتبعوهم قتلا وتشريدا واسرا في وقائع تشيب لهولها الولدان كل ذلك ليستأثروا بالملك وتبقى آثارهم ما بقيت الأرض والسماء غير عالمين أن العاقبة للمتقين وان الله تبارك وتعالى متم نوره على رغم المشركين فهاهي قبورهم دارسة وآثارهم طامسة في عاصمتهم ودار ملكهم نفسها فضلا عن غيرها وقد شاهدت بنفسي قبر معاوية مهجوراً بين اظهر اهل دمشق وموحشا في محل خرب تجتمع اليه الأوساخ والأقذار لا يدخل اليه داخل ولا يزوره زائر حتى تعجب اهل الشام من ذهابي الى حفرته وتجمهروا علي متحيرين من وقوفي واما حفرة ابنه اللعين (يزيد) فإنها مجهولة وهكذا قل في حفر سائر طواغيت بني امية فقد طمست وعفيت في قواعدهم ودور اماراتهم وقامت في دمشق وغيرها مشاهد اهل بيت الرحمة الذين اذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا واصبحت اولياء بني امية وشيعتهم بالامس يشيدونها اليوم ويعظمون شعائرها ويزورونها ويتبركون بها كما رأيت في مشهد السيدة ومشهد الرأس الشريف ومقام الإمام زين العابدين نعم والعبرة كل العبرة في اندثار حفرة معاوية اعظم خلفاء بني امية وحفر سائر اهله وتجافي الناس عن زيارتها الى زيارة قبر رقية اصغر بنات الإمام الشهيد عليه السلام في دمشق الشام فياليت شعري هل يمكن بعد قيام هذه البينات وظهور هذه الآيات والعناية لأئمة اهل البيت وخذلان عدوهم أيشك شاك او يرتاب مرتاب في بطلان دعوى تبتني ابنيتها على أساس نصب العداوة والبغضاء لله تعالى ورسوله واهل بيته عليهم الصلاة والسلام فاعتبروا يااولي الابصار

مشهد ابن العربي

في سفح جبل الصالحية مشهد الشيخ العارف الشهير محيي الدين بن العربي المتوفى سنة ٦٣٨ وقد اظهر قبره وشيده السلطان سليم بعد ان كان مهملاً مهجوراً وعمر إلى جنبه جامعاً فخم العمارة يعرف بجامع السلطان سليم اقام على طوله ٦ اعمدة من الرخام بين كل عمود وآخر ٧ اقدام وعلى عرضه ٣ اعمدة وقد فرش كل ماسقف منه ببسط صوفية جيدة والقبر في الجهة الشرقية من الجامع في مغارة عميقة ينزل اليه على ١٢ درجة وساحة القبر مستطيلة تبلغ ٢٢ قدماً طولاً في عرض ٧ اقدام يقع شباك القبر في ثلثها الغربي والشباك من حديد ولكنه مفضض داخله محراب عليه بردة من حرير اخضر وفوقه قناديل واواني بلورية مختلفة ثمينة وفيه كذلك افرشة نفيسة وهذه القناديل الثمينة على ما يحكي اهل دمشق كانت قبل ذلك على قبر يزيد بن معاوية ولما هدمه السلطان سليم واظهر قبر محيي الدين بعد اندراسه نقلها اليه . وفي اندراس قبر يزيد بعد ظهوره وظهور قبر محيي الدين بعد اندراسه وتجافي الشاميين عن زيارة قبور الأمويين ورغبتهم في زيارة قبر محيي الدين دليل آخر على سوء عاقبة بني امية واستحقاقهم العقوبة الإلهية

المكتبة الظاهرية

وفي دمشق دار كتب عامة وقف على المطالعة تعرف بالمكتبة الظاهرية نسبة للملك الظاهر الآتي ذكره تشتمل على ١٠ آلاف مجلد اكثرها مخطوطة وبعضها مطبوع في اصناف العلوم والفنون وقد جمعت من بقايا كتب

المدارس في دمشق الشام وذلك ان في دمشق مدارس كثيرة قديمة ولكل مدرسة خزانة كتب وقد عبثت بها الأيدي إلى ان قيض الله لهـا احد ولاة الحكومة العثمانية منذ اربعـين سنة والأغلب انه مدحت باشا فجمع متفرقاتها بمساعدة بعض افاضل دمشق وهيئت للمطالعة في مكتبة الملك الظاهر وعمل لها فهرس ورتب لها مستخدمون وزيد عليها من ذلك الحين إلى الآن عدد غير قليل من الكتب فهي تحتوي الآن على ١٠ آلاف مجلد من ابواب مختلفة واما الملك الظاهر فهو (بيبرس البندقداري) قائد جيوش الملك المظفر سيف الدين قطر . ملك الديار المصرية اتفق قادة الجيش المصري ورجال الدولة على نصبه ملكا سنة ٦٨٥ بعد قتل الملك المظفر وقد ملك الملك الظاهر سوريا واجلى عنهـا التتار واعاد مبايعـة العباسيين في مصر بعد انقراض خلافتهم في بغداد بفتح التتار لها على يد هولاكو وقتلهم المستعصم العباسي ووصول احمد بن الخليفة الظاهر إلى مصر وهو الذي احتفل الملك الظاهر بمبايعته خليفة بالإسم فقط إذ لم يكن له شأن في ادارة شؤون الدولة قط ثم جهز له جيشا لاسترداد بغداد فنشبت بينه وبين التتار حرب اسفرت عن قتله وقد فتح الملك الظاهر بعد ذلك ارمينيا وآسيا الصغرى وما يليها وتوفي بين حلب ودمشق بعد رجوعه من غزو تلك البلاد سنة ٦٧٦ وحمل إلى الشام ودفن في مقبرته المعروفة الآن بباب البريد وهي المكتبة الظاهرية

فوائد متفرقة عن دمشق

يبلغ سكان دمشق (٣٠٠) الف نسمة على اقل تقدير اكثرهم مسلمون على مذهب اهل السنة إذ يؤلفون ٨٠ في الـ١٠٠ مـن مجموع السكان

وفيها عدد قليل من الشيعة لهم حارة مخصوصة تعرف بحارة الخراب ومن فقرائهم جماعة يسكنون الصالحية اى في جبلها اما النصارى واليهود يؤلفون ٢٠ في الـ ١٠٠ من مجموع السكان ولكن النصارى اكثر عددا من اليهود ومن مزايا الدمشقيين حب المال والثروة والادخار وهم ينظرون إلى جميع الأشياء من وجهة منافعها المادية لاغير وتراهم دون اهل حلب وبيروت في دماثة الأخلاق والفة الغرباء إلا إذا توقعوا النفع المالي من ورائهم فلا يجاريهم حينئذ مجار في خدمة الغريب . ومدينة دمشق من اهم مراكز الخطوط الحديدية فيها خط المدينة المنورة ومنه فرع يذهب إلى فلسطين وخط بيروت وخط حلب ويمرّ على بعلبك وحمص وحماة وفي دمشق شركة الجر الكهربائية تخترق سكتها المدينة من شمالها في (حي المهاجرين) و(الصالحية) إلى جنوبها في (الميدان) محطتها العامة في (المرجة) وهي الساحة المشهورة الواسعة قرب نهر (بردى) تحيط بها المباني الضخمة من دور الحكومة والانزال والمخازن التجارية وغيرها وتتألف مواد البناء في دمشق من الحجر الطبيعي على اختلاف انواعه ولا يبنى به عندهم الا ظاهر العمارات واما الداخل فيبنى باللبن المجفف بالشمس وبالأخشاب وهي من هذه الوجهة خلاف حلب وطرابلس وبيروت على أن دمشق فيها عدد غير قليل من العمارات الحديثة الضخمة وقد فتحت فيها اخيراً اي اثناء الحرب العامة بعض الشوارع العامة الواسعة وغرست على جوانبها الاشجار وهي من احسن شوارع الشام ومناخ دمشق لطيف وهواؤها بارد منعش ونسيمها عليل ولذلك لاينام احد في دمشق على السطوح بل يجلسون وينامون داخل البيوت ومهما اشتدت الحرارة عندهم في الصيف فلا تزيد على درجة حرارة اواخر الربيع في العراق ويختلف افق الشام عن

افق حلب بالنسبة إلى مواقيت الفجر وطلوع الشمس في العشر الأول من حزيران وفيها منتهى قصر الليل يطلع الفجر في الشام الساعة ٧ و ٤٠ دقيقة والشمس الساعة ٩ و ٣٠ دقيقة ليلا اي بزيادة الليل في الشام ٢٠ دقيقة على ليل حلب كما ينقص نهار الشام ١٥ دقيقة عن نهار حلب ويزيد على نهار العراق ١٥ دقيقة والسبب في اختلاف آفاق هذه الأقطار الثلاثة على الكيفية المذكورة اختلاف مواقعها فحلب بعيدة عن العراق مرتفعة في الشمال والشام اميل إلى الجنوب واقرب إلى العراق وهي كما لا يخفى غربي العراق ولم نتعرض للفرق المذكور في آفاق حمص وحماة وطرابلس وبيروت لأنه من حيث الزيادة والنقصان فرق يسير لا يعتد به

من دمشق الى بعلبك ولبنان

برحنا دمشق يوم الثلاثا ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٤١ بعد الإقامة فيها شهرا كاملا وذلك لمشاهدة بعلبك ولبنان واقلع بنا القطار من محطة دمشق في الساعة ١٢ اي بعد طلوع الشمس بساعتين فوصلنا (دمر) بعد ٢٠ دقيقة ثم (الهامة) بعد ١٠ دقائق وقد مر ذكر هاتين المحطتين وانما اعدناه توطئة لذكر باقي محطات القطار ونأتي بعد الهامة (الجديدة) تبعد عنها عشر دقائق وهي قرية ذات بساتين ثم (عين الفيجه) تبعد عن الجديدة ١٥ دقيقه وهي قرية ذات بساتين ثم (دير قانون) تبعد عن عين الفيجة ١٣ دقيقة وهي قرية ذات بساتين ثم سوق وادي بردى تبعد عن دير قانون ١٠ دقائق وهي قرية ذات بساتين ثم (التكية) محطة مجردة وهذه الطريق المشتملة على هذه القرى من دمر إلى التكية ذات حدائق وبساتين متصلة آخذ بعضها برقاب بعض تقريبا على ضفتي نهر بردى وهي من متنزهات

اهل الشام ثم محطة (الزبداني) وهي كورة قديمة مشهورة من كور الشام ذات ضياع وبساتين كثيرة تجود فيها الفواكه لا سيما الأجاص والتفاح الجيد وتزرع فيها الحبوب والقطاني وتروي الجميع عين (الزبداني) وهي تبعد عن التكية ٢٠ دقيقه ثم (سرغاية) تبعد عن الزبداني ١٥ دقيقة وحولها مزارع تسقى من عين كبيرة ثم (يحفوفا) تبعد عن سرغاية ٢٠ دقيقة وهي قرية ذات بساتين ماؤها من عين سرغاية ثم محطة (رياق) الكبرى وهي مفترق الطرق الحديدية يذهب فرع منها إلى بيروت وآخر إلى حلب وتلتقي فيها القطارات الذاهبة إلى هذه المدن والآيبة منها ولا بد من النزول في هذه المحطة بمقدار انتقال المسافرين وتحويل القطارات على الخطوط وقد اقيم فيها لهذه الغاية نزل كبير يتناول فيه المسافرون ما يحتاجون اليه من مأكول ومشروب وقرية رياق من سهل البقاع المار ذكره فيها بساتين كثيرة اكثرها اشجار التوت وفيها ضياع يسكنها العرب تروى كلها من عين سرغاية وفيها حامية فرنسية كبيرة وقد كان وصولنا إلى رياق الساعة ٤ و٣٠ دقيقة نهارا وانتقلنا فيها إلى خط حلب ولم يتحرك القطار إلا الساعة ٦ و٤٠ دقيقة فوصلنا إلى محطة (طلية) الساعة ٧ ثم محطة (بعلبك) بعد ١٥ دقيقه حيث اقلتنا فيها مركبة إلى المدينة وبينهما ميل واحد وذهبنا توا إلى (سنترال بعلبك)

بعلبك

بليدة تقع في منتهى سهل البقاع شمالا ذات بساتين كثيرة تكتنفها الجبال من ثلاث جهاتها الشرق والجنوب والشمال وتعلو عن سطح البحر ١٤٠٠ قدم ابرد من الشام هواء وعماراتها على الاغلب ليست بذات شأن

عدا ما كان منها لبعض الموسرين حيث أنشأوها على الطرز الحديث وفيها سوق واحد حقير بالقياس إلى اسواق بقية الحواضر السورية ليس له سقف وتجارتها بائرة لأن معول اهلها في الاكثر على الزراعة فبعلبك كورة زراعية تشتمل على بساتين وقرى وضياع كثيرة متصلة آخذ بعضها برقاب بعض مسافة ٢٠ ميلا على التقريب في السهل الممتد إلى رياق وتزرع فيها الحبوب والقطاني على اختلافها وتجود الثمار على انواعها ترويها مياه (رأس العين) و (عين لجوج) ويبعد نبع رأس العين ميلا عن بعلبك يجتمع ماؤها اولاً في شبه بحيرة طولها ٦٠ مترا في عرض ٣٠ متراً ثم يخرج منها نهران عرض كل منهما ٣ امتار يجتمعان معاً على مسافة نصف ميل من بعلبك ويؤلفان نهراً واحدا عرضه ٥ امتار يدخل البلدة ويتوزع في احيائها وشوارعها وتخرج فضلات فتسقي الضياع والبساتين اما عين لجوج فإنها على ٦ اميال من بعلبك شمالا يتصل بالبلدة منها نهر صغير عرضه متر ونصف وماؤها اعذب من ماء رأس العين إلا أنه معول الزراع على ماء رأس العين وفي بعلبك من المواشي المعز والبقر وفيها من سائر الحيوانات الاهلية والوحشية ما في سائر الديار السورية ومن الطيور البط والأوز فضلا عن الطيور المألوفة المعروفة هذه حالة بعلبك الحاضرة كما رأيناها ويظهر من مراجعة تاريخها وآثارها انها منحطة كثيراً عما كانت عليه في الزمن القديم إذ هي مدينة جاهلية قديمة جداً ذكرها امرؤ القيس إذ قال

لقد انكرتني بعلبك واهلها ولابن جريج كان في حمص انكرا

وقال ياقوت بعلبك مدينة قديمة في ابنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على اساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا بينها وبين دمشق ثلاثة ايام وقيل

١٢ فرسخا من جهة الساحل وقيل ان بعلبك كانت مهر بلقيس وبها قصر سليمان بن داود على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ولما فرغ ابو عبيدة ابن الجراح من فتح دمشق في سنة ١٤ سار إلى حمص فمرّ ببعلبك فطلب اهلها اليه الأمان والصلح فصالحهم على ان أمنهم على انفسهم واموالهم وكنائسهم وكتب لهم كتابا اجلهم فيه إلى شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى فمن جلا سار إلى حيث شاء ومن اقام فعليه الجزية وسار إلى (قنسرين) و (العواصم) فلما فرغ من فتحها استشار اصحابه فيما يفعل فقالوا له قد انقضت ايام بيننا وبين البلاد التي فتحناها فنخاف ان يقوّوا بلادهم بالأطعمة لأنهم اولو شدة وعديد فالرأي أن نرجع اليهم ونقاتلهم فاستصوب رأيهم ورجع فوجد البلاد كما قالوا وكان قصده حمصاً فوجدها قد تحصنت وقد بعث اليها هرقل بطريقا من اهل الشدة والبأس ومعه جيش عرمرم فلما رأى ذلك اقام على حمص خالد بن الوليد وسار إلى بعلبك فحاصرها ووقعت بينه وبين اهلها محاربات عنيفة وفتحها عنوة وذلك سنة ١٥ من الهجرة

قلعة بعلبك

من اهم آثار بعلبك بل اهم الآثار الباقية على وجه الأرض قلعتها المشهورة وهي من عجائب الزمان ومن ابدع ما انشأه الإنسان في اتساع رحبتها وارتفاع اساطينها واعمدتها وضخامة حجارتها واتقان نقوشها فمن دخل اليها ورآها خاوية على عروشها مستبدلة انيسها بوحوشها عرف قدرة الخلاق الاعظم وكيف علم الإنسان ما لم يعلم والهمه من فنون الصنائع ومختلف الظرائف والبدائع الى الآن كما قال الشاعر العربي

يا قلعة في بعلبك قديمة   وسعت جميع الناظرين عجابا

لم يبقها الدهر الخؤون محبة   بل قصده أن يتحف الألبابا
كي يعلموا أن الألى من قبلهم   هم فتحوا لعلومنا الأبوابا

فلذا من تأملها هانت عليه المخترعات الحديثة وتحقق انها كلما اتسعت وتقدمت لا تبلغ شأو بعض المخترعات القديمة وقد عبثت بالقلعة ايدي الحدثان وغيرها تقلب الزمان وشوه محاسنها ومحا بهجتها واخلق جدتها تعاقب الملوان ودكتها الزلازل دكا ومع ما عمل فيها من مئات الأيدي خلال مئات الأعوام لم يدون الرومان ولا من قبلهم من الفينيقيين ولا من بعدهم من العرب الفاتحين نبذة شافية عن تاريخها حتى تضاربت الاقوال وتعددت الآراء في حقيقتها فمن قائل انها فينيقية ومن ذاهب إلى انها يونانية ومن زاعم انها رومانية إلى أن اكتشفتها البعثة الأثرية الألمانية المرسلة لذلك على نفقة امبراطور المانيا غليوم الثاني على اثر سياحته في سوريا وزيارته قلعة بعلبك سنة ١٣١٧ فقد قامت بالحفر بعد اخذ الرخصة من الحكومة العثمانية تحت اشراف جماعة المهندسين فاتضح لها حينئذ أن القلعة من آثار الرومان ثم البزنطيين بدليل ما وجدوا فيها من التماثيل والهياكل وقد احدث العرب الفاتحون فيها بعض المعاقل الحربية ايضا .
والحق أن ياقوت ممن سبق إلى اكتشاف حقيقة القلعة المذكورة إذ قال واما بعل في قوله تعالى (اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين) فهو صنم كان لقوم الياس النبي عليه السلام وبه تسمى (بعلبك) وهو معظم عند اليونانيين كان في مدينة بعلبك من اعمال دمشق ثم من كورة (سنير) وقد كانت يونان قد اختارت لهذا الهيكل قطعة من الأرض في جبل لبنان ثم في جبل سنير فاتخذته بيتا للاصنام وهما بيتان عظيمان احدهما اعظم من الآخر وصنعوا فيهما من النقوش العجيبة المحفورة بالحجر الذي لا يتأتى حفر مثله

في الخشب هذا مع علو سمكها وعظم احجارها وطول اساطينها هذا ما اورده ياقوت وها نحن موردون في هذه العجالة نبذة عما شاهدناه فيها فإن التفصيل لامطمع فيه وما لا يدرك كله لا يترك كله فنقول طول القلعة ٤٥٠ قدماً في عرض ٢٥٠ قدماً ومحيطها كلها ٥٨١٠ اقدام وفي جهتها الشرقية بابان كبير وصغير يؤدي الباب الكبير إلى مدخل طوله ١٨٠ قدماً في عرض ١٧ قدما وارتفاعه ١٥ مترا ويؤدي هذا المدخل إلى ساحة واسعة هي ساحة القلعة وفي منتصفها من الجنوب هيكل يرتفع عن ساحتها ١٠ مراقي او مترين ونصف وقد قام على طوله البالغ ٦٧ قدماً على ١١ عمودا من الرخام طول العمود وحده اي ما عدا الرأس ١٨ متراً وطول رأسه إلى السقف متران فيكون ارتفاع المجموع عشرين مترا منها تتألف الطبقة الأولى وقام على عرضه من جهة المغرب ٨ اعمدة ومن جهة الجنوب ١١ عموداً وقد عقدت على جميع هذه الاعمدة القائمة على جهات الهيكل الثلاث سقوف عرضها ٨ اقدام و كل عمود من هذه الاعمدة ثلاثة اقسام ومحيطه ٦ امتار وفي وجهة الهيكل الشرقية ايوان طوله ٤٥ قدما في عرض ٢٧ قدما وعرض بابه ٩ اقدام وارتفاعه ٨٧ مرقاة او ٤٣ متراً تتألف منها الطبقة الأولى وفي صدر الديوان دكة عرضها ١٠ مراقي او متران وثلاثة أرباع المتر عرضها ٧ اقدام وطولها عرض الايوان وبناء هذا الإيوان الذي هو بيت الأصنام ودكته التي يقيمونها عليها من اعجب الأبنية فيها من التماثيل الغريبة ما يحير الناظرين فنها تماثيل حيوانات ومنها تماثيل آدميين منحوتة في الصخور نحتا فنياً غاية في الاتقان والإبداع واما النقوش وسائر التصاوير فيضيق عن ذكرها ونعتها مجال البيان وتحت هذا الإيوان بمقدار عشر درجات سرداب طوله عرض الإيوان وعرضه ١١ قدماً وطول

الصفة المسقوفة (الطارمة) التي على وجه الإيوان ٢٧ قدماً وعرضها ١١ قدماً اضيف الى عرضها من جهة الجنوب عمودان ومن جهة الشمال عمودان بين العمود والثاني ٩ اقدام فصارت مساحته ٢٣ قدماً وهي لذلك تكاد تكون مربعة الهيئة وتجاه هذه الصفّة صفة أخرى بارزة من الجهة الشرقية تنخفض عن ساحتها ٢٠ مرقاة طولها ٣١ قدماً فيها ٣ ابهاء عرض كل بهو ٨ اقدام وبين الصفتين مسافة ١٥ قدما وفي جهة الجنوب الجنوبية من صفة الليوان الكبير ايوان صغير يرتفع عن ساحتها ٤ درجات طوله ٤ اقدام وعرضه ٣ يخرج منه سلّمان سلم يؤدي إلى اعلى البرج العربي فإنه ملاصق الصفة والثاني يؤدي إلى سرداب اما السلم الأول فيتألف من ١١ مرقاة حيث يخرج منه باب البرج والبرج مضلع الشكل اي ذو اربعة اضلاع طول الضلع ١٥ قدما وارتفاعه من الباب الى اعلاه ٦٢ مرقاة وهي الطبقة الأولى وليس في البرج صناعة فنية بل هو معقل حربي بني بانقاض الكنايس والهياكل الوثنية التي خربها المسلمون كما انهم بنوا في كل زاوية من زوايا القلعة برجا مثله وبنوا ايضا بين الهيكل والجهة الغربية مسجدا لم تبق منه الآن إلا الآثار هذا ما يتعلق بالباب الكبير ومدخله والهيكل والبرج والجميع في الجهة الجنوبية من القلعة واما الباب الثاني ففي مدخله دهليز طوله ٤٣ قدما في عرض ٨ اقدام غير مردوم السقف ويخرج من منتصف الدهليز باب يؤدي إلى هيكل مسدس يميل إلى شمال القلعة طوله ٤٣ قدماً في عرض مثل ذلك وقد اقيمت تجاه كل سدس من اسداس الهيكل الخمسة اربعة اعمدة بينها وبين نفس الهيكل ١٠ اقدام وداخل الهيكل المشار اليه هيكل بغير مسدس ايضا تجاه كل سدس من اسداسه ٣ اعمدة وذلك كالأول على ٥ اسداس كما أن بينها

وبين نفس الهيكل ١٠ اقدام وبين اعمدة الهيكل الصغير والهيكل الكبير عشرون قدماً ويظهر ان هذه المسافة بين الاعمدة والهيكل كانت معقودة اي مسقوفة ويخرج من السدس السادس من هذه الهياكل باب يؤدي إلى ساحة مستديرة محيطها ٥٠ قدماً ثم تجاه هـذا الهيكل المسدس هيكل مربع يلاصق الجهة الغربية طوله ١٣٨ قدماً وعرضه كذلك يحيط بكل ربع من ارباعه ٢٥ عمودا بينه وبين الاعمدة مسافة ١٠ اقدام كانت على الظاهر معقودة تتألف منها صفّة مسقوفة (طارمة) تحيط بالهيكل احاطة السوار بالمعصم وقد تقوضت اركان هذه الهياكل بتقادم الدهور وسقطت فتكسرت اعمدتها بمرور العصور على ان البعثة الالمانيـة قـد اكتشفت اسسها فوجدتها عامرة وعثرت على قواعد الاعمدة الرخامية ويستثنى من ذلك الهيكل الجنوبي فإن اركانه عامرة واعمدته قائمة وإنمـا سقط سقفه فقط وبذلـك بقيت صورتـه محفوظة واما الأبراج الغربيـة فلا تزال سقوفها عامرة وتتألف الجهة الشمالية من القلعة من خمسة ابهاء يتوسطها البهو الكبير وفي وجهه صفّة تحمل سقفها ٦ اعمدة وأما الابهاء الأربعـة الباقية فإن صفة كل بهو منها معقودة على ٣ اعمدة وبين هذه الجهة الشمالية المشتملة على هذه الابهاء وبين الهيكل المربع السابق ذكره كنيسة منها إلى الجهة الشمالية ١٠٠ قدم والى الهيكل ٥٠ قدما وطولها هي ايضا ٥٠ قدماً في عرض ٢٣ قدما وفي جهاتها الأربع كثير من التماثيل المنحوتة . هذا ما امكن تدوينه من وصف (قلعة بعلبك) وهو غيض من فيض وقليل من كثير وليس الخبر كالعيان وكيف وهي اهم الآثار القديمة الباقية في العالم يقصدها السواح والزوار من كل جانب ومكان وحسبك ان القدر المتوسط من احجارها الأساسية طوله ١٢ قدماً وعرضه ٥ اقدام وعلوه ٨ اقدام وفيها

ماهو اكبرمن ذلك واصغر على أن اصغر احجارها ما كان في اعلابنائهـا وقدره متر مربع ولم يدخل في بنائها ما هو اصغرمن هذا المقدار وعرض اعلى البناء في القلمة حجران من هذا المقدار او متران واما الأساس فثماني اقدام

من بعلبك الى لبنان

برحنا بعلبك يوم الاربعا ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٤١ الساعة ٩ مـن النهار وركبنا من محطتها قطار حلب الساعة ٩ ونصف ووصلنا رياق في الساعة ال ١٠ ومنها انتقلنا إلى قطار بيروت حيث اقلع بنا الساعة ال ١٠ ٤/٣ فوصلنا « المعلقة » الساعة ١١ من النهار وهي بليدة في آخر سهل البقـاع غربا او سفح جبل لبنان شرقاً تعلو بعض عماراتها على بعض حتى تتصل بزحلة وفيها سوق واحد وجامع للمسلمين من سكانها وقد نزلنا فيها وركبنا مركبة إلى زحلة وبينهما مسافة ميلين

زحله

وصلنا زحلة ليلة الخميس وامضينا ليلتنا المذكورة في «نزل طرابلسي» وانتقلنا في صبيحتها إلي بيت استأجرناه وزحلة بلدة كبيرة على ضفتي نهر «البردوني» بين جبلين في (وادي العرايش) تشرف عليها الجبال من الشرق والغرب وتعلو بعض عماراتها على بعض إلى اعلا الجبال وتعلو عن سطح البحر ١٥٠٠ قدم ومنظرها جيد جميل وموقعها بديع وعماراتها حديثة الطرز في كل جانب من جوانبها سوق حسن غير مسقوف وفيه فنادق لبضائع التجار وانزال ومقاهي حسنة اهم صادراتها الغنم والصوف ومنسوجاتها قليلة وسكانها كلهم نصارى ليس بينهم مسلمون ولا يهود نعم

بين سكان المعلقة ٥ في الـ ١٠٠ من المسلمين وعرض نهر البردوني ٥امتار تقريبا وماؤه بارد عذب مري، منبعه من قرية في جبل "صنين" تدعى «قمفرين» وهي على ٥ اميال من زحله شمالا ويخترق النهر زحلة من الشمال إلى الجنوب ومنه سقياها وسقيا المعلقة . وفي زحلة بساتين كثيرة اكثرها كروم ومتنزهها الوحيد «وادي العرايش» يشاهد من رأس البلدة حيث تتضايق الجبال حتى لا يبقى سوى مجرى النهر فليس هناك وادي العرايش بل وادي العرايس ومجمع النفائس وملتقى الخلائق في الجنينات والحدائق اكثر مواشيها وحيواناتها الأهلية الغنم والبقر والمعز والخنازير امـا الخيل والحمـير فقليلة وفيها الحمير السود للركوب وفيهـا ايضا من الحيوانات الوحشية ما في غيرها ويغلب على ارانبها من الألوان البياض وعلى ثعالبها الزرقة ويحكمها الآن متصرف . برحنا زحلة يوم الأحد ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٤١ الساعة ٣ نهارا عـلى سيارة إلى "شتورة" فوصلناها بعد ١٥ دقيقة وهي قرية صغيرة فيهـا محطـة للقطار وفندقان لتحضير الطعام والشراب ومحلان لتهيئة القهوة وفيها بساتين كثيرة اكثرها الكروم والتوت ثم "المريجات" ينبع ماؤها من الجبل ثم "صوفر" وسنأتي على شرح حالها ثم « بحمدون » وقد مضى شرح حالها ثم عاليه

عاليه

وصلنا عاليه الساعة ٤ نهاراً ونزلنا في «نزل السلام» وهي بلدة دون زحلة بقليل واقعة على قمة جبل تعلو عن سطح البحر ١٢٠٠ قدم ويشرف عليها جبل ثانٍ من المشرق والجنوب اعلى من جبلها الواقعة هي عليه كل ما فيها من العمارات على الطرز الحديث يعلو بعضها على بعض من سفح

الجبل إلى اعلاه لطيفة الموقع حسنة المنظر تبعد عن البحر ١٨ ميلا فقط ولا يحجبها عنه حاجب لارتفاعها وهو من جملة مناظرها البديعة في جهتها الغربية وفيها شارع واحد واسع على طول البلدة غرست فيه اشجار « الأكاسيا » و« الكينا » تظال المادين من الشمس وعلى جانبيه الفنادق والمقاهي فهو شارع البلدة ومتنزهها وسوقها في وقت واحد ترى الناس مجتمعة فيه اومنتقلة من مقهى إلى آخر وتشاهد المناظر الطبيعية مطلة عليه من جبال مكللة بتيجان هائلة من الثلوج وبطاح مكسوة بثياب سندسية من الرياض والأزهار والاشجار واكثر سكان عاليه وما حولها من القرى نصارى ليس بهم مسلمون ولا يهود وهي كثيرة الأشجار والبساتين يخيل لك ان جبالها وبطاحها وسهولها ووعورها غابة واحدة غيباء وروضة غناء ويكثر فيها على الأخص شجر الكمثرى والتفاح وماؤها من (عين حمانة وعين عيناب) اما عين حمانة فعلى ٦ اميال منها جنوبا يجلب ماؤها بالقساطل إلى البلدة ويوزع على شوارعها ومحلاتها الجنوبية و (عين عيناب) على مسافة ميل واحد منها شرقا يجلب ماؤها في القساطل اليها ايضا ويقسم على الجهة الثانية . يكثر في حيواناتها الاهلية المعز والخنازير وتقلّ البقر والاغنام والخيل ويستحسن اهلها ركوب الحمير السود وفيها من الحيوانات الوحشية والطيور الأليفة وغيرها ما في زحلة لأنها من صعيد واحد والاهالي في عاليه عاكفون على اسباب اللهو والطرب لا يكاد يخلو مقهىً من مقاهيها من المغنيات وآلات الغناء ومن المتعارف فيها مشاهدة الفتيات الحسان تطوف على المجتمعين في القهوات والمجتمعات العامة ويباح لهن مجالسة من شئن مجالسته من الرجال

برحنا عاليه بعد شروق الشمس من يوم الاربعاء ٢٩ ذي الحجة سنة

١٣٤١ هـ إلى صوفر على سيارة فوصلناها بعد ساعة

صوفر

بلدة على رأس جبل تعلو عن سطح البحر ١٧٠٠ قدم اكثرها فنادق وانزال يتألف سوقها من حوانيت معدودة وحول صوفر قرى وبساتين كثيرة سكانها اكثرهم نصارى لا يوجد بينهم مسلمون ولا يهود ترويها عين يقال لها (عين صوفر) وهي منها على مسافة ميل واحد ويجلب ماؤها بالقساطل إلى البلدة لم نبق في صوفر سوى ٤ ساعات قضينا اكثرها في الفحص والتحقيق عن احوالها وذلك اننا دخلناها في الساعة ١٢ ليلا وفارقناها الساعة ٤ نهارا على قطار بيروت عائدين إلى دمشق الشام والخط الحديدي الواصل بين بيروت والشام يخترق صوفر طولا وله محطة فيها بعد مروره على عاليه ثم يمر في المعلقة على مقربة من زحلة وهذه المدن اللبنانية اهم حواضر جبل لبنان

كلمة عامة عن سوريا ولبنان

لبنان جبل واسع كبير يشتمل على بلدان وقرى كثيرة وفيه اشجار مختلفة وانهار جمة جارية اما من عيون تتفجر من الجبال او تتكون من ذوبان الثلوج فيها وهواء هذا الجبل مشهور بالجودة بارد منعش معطر في اريج النباتات الذكية وسبب برودة الهواء فيه ارتفاعه الشاهق عن سطح البحر وتراكم الثلوج فيه وتعادل حرارة القيظ فيه حرارة اوائل الربيع في العراق وليس فيه مع ذلك برد قارس في الشتاء يقصده المصطافون من جهات الشرق والغرب بكثرة وهو من هذه الوجهة مورد ربح جزيل

لسكانه اللبنانيين الماهرين في تهيئة كل ما شأنه جلب الدرهم والدينار من الغرباء واشهر بلدانه الحواضر الثلاث المار ذكرها اعني زحلة وعاليه وصوفر على أن لكل واحد من هذه المدن مزية تختص وتنفرد بها عما عداها خذ مثلا زحلة فإنها تمتاز بمناظر واديها الأنيق «وادي العرايش» وبنهرها «نهر البردوني» وما فيه من المياه الصافية المتدفقة وبما على ضفتيه من الحدائق والجنينات وبما يطل عليه من الجبال الشاهقة التي يقل نظيرها في جميع نواحي سوريا واما عاليه وصوفر فتمتازان بما يكلل جبالهما من تلك الثلوج الناصعة المتراكمة شتاء وصيفا وبما فيها من الرياض والخمائل الزاهية علاوة على ما لموقعهما البديع من الإشراف على البحر الذي تتجلى في هيئته عظمة الخالق القدير تبارك وتعالى وعلى الاجمال فإن مناخ سوريا الطف من مناخ العراق على اختلاف ظاهر وهذا الإختلاف حاصل بين مدن القطر السوري نفسه فإن مناخ حلب وحماة واحد تقريباً لتساويهما في درجة الارتفاع عن سطح البحر وكذلك مناخ حمص والشام ولبيروت وطرابلس مناخهما الخاص وسوريا على الإجمال اعرق في حضارتها من العراق والسوري حضري بالطبع ويكثر سواد من يقرأ ويكتب في سوريا من النساء والرجال اكثرهم من خريجي المدارس الحديثة المنتشرة في طول البلاد وعرضها ومن جملتها الكليات والمدارس التي يدعونها (عالية) في بيروت وغيرها واقبال السوريين على التعلم في هذه المعاهد معروف مشهور . والحق ان كثرة الأميين في امة ما لا يعد دليلا على كبوتها وعثرتها كما ان قلتهم في امة اخرى لا يؤخذ برهانا على نهضتها والعبرة ليست بالقراءة والكتابة ومواد التدريس بل بروح التعليم وما يرمي اليه من تطهير النفس وتهذيبها بغرس الفضائل الدينية ومناهضة الآراء الإلحادية

والتعاليم المادية وفي اعتقادنا ان سوريا في مؤخرة الأقطار الشرقية والعربية من هذه الوجهة ولعل الحبشة ارقى منها بكثير ولم تفتقر سوريا ولم يصبها النقص في انفسها وثمراتها ولم تغلب على اهلها الهموم والمتاعب والأحزان ولم تنتشر فيها المجاعات والويلات ولم تفسد فيها الاخلاق ولم تنبُ تلك البلاد بأهلها وسكانها حتى هجروها إلى الأقطار الافرنجية التي استعبدها الافرنج الا بعد ان اخرجت مدارسها هذه الجيوش الجرارة من المتعلمين على المناحي الغربية المتخرجين على الأساليب الأوروبية البحتة اللهم فاعصمنا من ذلك وحصن بلادنا من دخول هذه الآفات والأدواء الفتاكة اليها واهدنا كما قال امامنا زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام إذا أشكلت الأمور لأهداها وإذا تشابهت الأعمال لأزكاها وإذا تناقضت الملل لأرضاها ومما لاحظته من الامراض الغربية العامة في سوريا باستثناء حلب تبكير المشيب إلى رؤوس الرجال واشتعاله فيها قبل ظهوره في العوارض فإنك ترى الشاب وهو في نحو ٢٥ا قد علا رأسه المشيب مع أن شعر وجهه خال من ذلك ولا ريب في سريان ذلك إلى النساء إذ أن الجنس واحد والاقليم ونوع المعيشة كذلك هذه خاتمة المطاف فى سوريا ولبنان وسنأتي فيما يلي بشيء من مشاهدتنا في الديار الفلسطينية والمصرية

من دمشق الى فلسطين

قام بنا القطار من دمشق في طريقنا إلى زيارة القدس الشريف والوقوف على احوال الديار الفلسطينية والمصرية في الساعة الواحدة والدقيقة ٥ من يوم الأثنين ٢٨ محرم سنه ١٣٤٢ فوصلنا (محطة القدم) بعد ٥ دقائق وهي محطة كبيرة تحمل اليها بضائع التجار لتشحن في القطار ثم

(الكسوه) تبعد عن القدم ٢٠ دقيقة وهي قرية من قرى الشام القديمة فيها بعض البساتين ماؤها من الجبال قال ياقوت هي اول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر قال الحافظ ابو القاسم وبلغني أن الكسوة إنما سميت بذلك لأن غسان قتلت بها رسل ملك الروم لما اتوا اليهم لأخذ الجزية منهم واقتسمت كسوتهم ثم (دير علي) تبعد عن الكسوة ١٥ دقيقة قربها قرية فيها عين صغيرة ثم (المسمية) تبعد عن دير علي ٣٠ دقيقة وهي محطة في ارض خالية ماؤها من الجباب ثم (جباب) تبعد عن المسمية ٢٥ دقيقة قربها قرية ماؤها من الجباب ثم (خبب) تبعد عن جباب ١٥ دقيقة حولها اعراب ماؤها من الجباب ثم (المحجة) تبعد عن خبب ٢٠ دقيقه وقربها قرى واعراب وضياع ماؤها من عين ثم (اذرع) تبعد عن المحجة ٢٥ دقيقة وقربها قرى واعراب ماؤها من الجباب ثم (خربة الغزالة) تبعد عن اذرع ٢٠ دقيقة قربها اعراب وضياع وماؤها من جباب ثم (درعا) تبعد عن خربة الغزالة ٢٠ دقيقة وهي بلد كبير من اعمال دمشق الشام وقربها الحد الفاصل بينها وبين عمارة (شرقي الاردن) الآن والمحطة منها على ميل واحد من الشمال الشرقي تقريباً وهي مفترق سكة الحديد الحجازية إلى عمان وفيها منازل للعرب وضياع كثيرة وهي من مدن الشام القديمة الجاهلية ذكرتها العرب في اشعارها لانها لم تزل من بلاد العرب قبل الإسلام وكان اسمها (اذرعات) وبعده قال امرؤ القيس

ومثلك بيضاء العوارض طفلة لعوب تنسيني إذا قمت سربالي

تنورتها من أذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عالي

ثم (مزيريب) تبعد عن درعا ٢٠ دقيقة ينزلها العرب وفيها ضياع

ماؤها من الجباب ثم (تل شهاب) تبعد عن المزيريب نحو ٢٠ دقيقة ثم (زيزون) تبعد عن تل شهاب ٣٠ دقيقة وحولها منازل للعرب وقرى وضياع ماؤها من الجباب ثم (المقارن) تبعد عن زيزون ٣٠ دقيقة حو لها منازل للعرب وضياع باؤها من الجباب ثم (الشجرة) تبعد عن المقارن ٢٥ دقيقة وهي محطة في بر اقفر ماؤها من القطار ثم(وادي خالد) يبعد عن الشجرة ٢٥دقيقة وهو وادعظيم بين جبال يجري فيه نهر الاردن وعرضه هناك نحو ٥ امتار وماؤه عذب غزير يستبطن الوادي المذكور إلى (بحيرة طبرية) حيث يصب فيها فرع منه ومنتهى مصبه (بحيرة لوط) وهو الحد الفاصل بين امارة شرقي الأردن وفلسطين ومحطة وادي خالد لا ينزلها احد وليس فيها قرية وماؤها من النهر المذكور ثم (الحمة) تبعد عن وادي خالد ١٥ دقيقة لا قرية فيها ولا سكان ماؤها من الأردن ثم (سمخ) تبعد عن الحمة ٢٥ دقيقة وهي محطة على (بحيرة طبرية) جنوبا وهذه البحيرة في منخفض تحيط بها جبال قوسية الاشكال ماؤها عذب غزير يسقي قرى وضياعاً كثيرة ينزلها الزراع من العرب قال الازهري بحيرة طبرية نحوا من ١٠ اميال في ٦ اميال وقال ياقوت رأيتها يعني بحيرة طبرية مراراً وهي كالبركة تحيط بها الجبال وتصب فيها فضلات انهر كثيرة تجيء من جهة بانياس والساحل والأردن الأكبر وينفصل منها نهر عظيم فيسقي ارض الأردن الاصغر وهو بلاد الغور ويصب في البحيرة المنتنة أو بحيرة لوط قرب (اريحا) ثم محطة (جسر المجامع) تبعد عن سمخ ١٥ دقيقة قربها قرى وضياع مأهولة بالعرب ماؤها من الجباب ثم(بيسان) تبعد عن جسر المجامع ٢٠ دقيقة وهي بلدة واقعة على هضبة حولها من جهاتها الأربع بساتين لطيفة المنظر وقرى وضياع وتعد من مدن الاردن

القديمة قال ياقوت بيسان مدينة بالأردن بالغور الشامي ويقال هي (لسان الأرض) وهي بين حوران وفلسطين وبها (عين الفلوس) يقال انها من الجنة وهي عين فيها ملوحة يسيرة وتوصف بكثرة النخل وهي بلدة وبية حارة اهلها سمر الالوان جعد الشعور ثم (الشطه) تبعد عن بيسان ٢٥ دقيقة وحولها قرى وضياع مأهولة بالعرب تروى من عين ثم (عين هارون) تبعد عن الشطة عشر دقائق مأهولة بالعرب واليهود وفيها ضياع تروى من عين ثم (العفولة) تبعد عن عين هارون ٢٠ دقيقة ذات قرى وضياع مأهولة بالعرب واليهود ماؤها من الجباب ثم (تل الشمام) تبعد عن العفولة ٣٠ دقيقة ذات قري وضياع مأهولة بالعرب ماؤها من الجباب ومن هذه المحطة قام بنا القطار إلى (حيفا) فوصلنا الساعة ١٢٧ وسرنا اليها من محطتها الواقعة شرقي المدينة ونزلنا في (نزل السلام).

حيفا

مدينة ساحلية على البحر الرومي المعروف الآن بالبحر الأبيض يكتنفها البحر من الغرب والشمال والجنوب ويطل عليها من الشرق جبل شاهق وموقعها على البحر مبهج بديع جدا وفيها حي مستحدث يدعى (حيفا القديمة) في مقابل (حيفا الحديثة) وفي المدينة شارعان واسعان مرصوفان بالاحجار يخترقانها من اولها إلى آخرها وفيها سوقان غير مسقوفين يمتدان على طول المدينة وكل ازقتها واسواقها مرصوفة والبلدة مستطيلة غير عريضة لمضايقة الجبل لها عرضاً فيها بساتين قليلة اكثرها النخيل وتكثر فيها البقول ولها رصيف على البحر تمر عليه السكة الحديدية إلى (يافا) سكانها مسلمون على مذهب اهل السنة وفيها كثير من النصارى

واليهود إذ يؤلفون ٣٠ في ال ١٠٠ من مجموع السكان على ان النصارى في اتفاق تام مع المسلمين وذلك ضد اليهود الصهيونيين الذين يطمعون في استعمار فلسطين وجعلها وطنا قومياً لليهود كما يزعمون وحيفا مدينة تجارية صناعية اهم صادراتها الحبوب والبقول وماؤها من الآبار ثقيل جداً رديء الطعم والرائحة وفيها من المواشي والحيوانات الاهلية والوحشية ومن الطيور المائية والبرية ما في سائر مدن الشام ويغلب على ارانبها البياض من بين سائر الالوان وثعالبها كدرو الالوان ويألف دورها العصافير والخطاطيف والفواخت والظاهر أن حيفا لم تكن في قديم الزمان كما هي الآن بل كانت معقلا ساحليا من معاقل جنود المسلمين قال ياقوت حيفا حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ولم يزل في ايدي المسلمين إلى أن تغلب عليها « كند فري » الذي ملك بيت المقدس سنة ٤٩٤ وبقي حصن حيفا في ايديهم إلى ان فتحه صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ٥٧٣ وخربه

برحنا حيفا في الساعة ٧ من يوم الثلاثاء ٢٩ محرم الحرام سنة ١٣٤٢ وركبنا القطار منها إلى محطة «عتليت» وهي محطة مجردة تبعد عن حيفا ٣٠ دقيقة ليس فيها ماء وإنما يحمله اليها القطار ثم «ذكرى يعقوب» تبعد عن عتليت ٢٠ دقيقة وقربها قرية وبستان ماؤها من الجباب ثم (الخضيرة) تبعد عن ذكرى يعقوب ١٠ دقائق قربها قرية ماؤها من جباب مأهولة باليهود لا غير ثم (بنيامين) تبعد عن الخضيرة ٢٠ دقيقة ماؤها من الجباب وحولها قرى وضياع مأهولة بالعرب واليهود ثم (طول كرم) تبعد عن بنيامين ١٥ دقيقة وهي بلدة كبيرة لها منظر واقعة على مرتفع يحيط بها سهل كثير القرى والضياع مأهول بالسكان وماء البلدة من الجبال ومحطتها في جهتها الغربية منها يذهب فرع من السكة الحديدية إلى (نابلس) ثم

(قلقيليا) تبعد عن طول كرم ٢٠ دقيقة وفيهاضياع ماؤها من الجبال ثم (رأس العين) تبعد عن قلقيليا ٢٥ دقيقة حولها قرى وضياع ماؤها من جباب ثم (كفر جنب) تبعد عن رأس العين ٢٠دقيقة حولها قرى وضياع ماؤها من الجباب ثم (اللد) تبعد عن كفر جنب ٢٠ دقيقة وهي بلدة عامرة ظريفة الموقع فيها بساتين كثيرة اكثرها الزيتون وفيها قرى وضياع عديدة ماؤها من الجبال وفي غربها المحطة الكبرى تتفرع منها عدة خطوط خط إلى يافا وثاني إلى القدس وثالث إلي القنطرة وترعة السويس واللد معروفة مشهورة من القديم ذكرها يا قوت في معجمه نزلنا فيها الساعة ١٠ و٣٠ دقيقة نهارا وتحولنا إلى قطار يذهب إلى يافا اقلع بنا الساعة ١١ فوصلنا (صفرية) وهي من اللد على ١٥ دقيقة فيها قرى وضياع وبساتين ماؤها من الجباب ثم (تل ابيب) تبعد عن صفرية ١٠ دقائق وهي بلدة حديثة مصرها الصهيونيون تتصل عمارتها بيافا

يافا

دخلنا يافا الساعة ١١ و٤٥ دقيقة نهارا وذهبنا إلى (نزل جورج) وهي مدينة ساحلية ظريفة الموقع اكبر واعمر من حيفا يحدها البحر غربا وشمالا والسهل جنوبا وشرقا وهو سهل يشتمل على بعض الهضاب والكثبان الرملية وتنقسم إلى قسمين يافا القديمة عمارتها على الطرز القديم ويافا الحديثة عمارتها على الطرز الحديث لا سيما تل ابيب وهي المستعمرة الصهيونية الحديثة التي انشئت بعد ختام الحرب الكبرى ولم يفرغوا منها إلى الآن ولا يزال العمل جاريا فيها وقد اصبحت اكبر من يافا واكثر انتظاماً فإنها خططت بجميع ما تشتمل عليه من دور وشوارع واسواق تخطيطا هندسيا

وهجرة اليهود اليها متصلة حتى ضاقت بهم ذرعاً على سعتها ومن المهاجرين اليها الآن قسم يقيمون بالخيام لأن بيوتهم غير تامة هذا فضلا عمن يتوارد اليها كل يوم من المهاجرين وينتظر أن تفوق يافا بعد بضع سنين سائر المدن الساحلية السورية في اتساع رقعتها وعمران بقعتها حتى بيروت .مضافا إلى ما تمتاز به من لطف موقعها وجمال منظرها فإنها محاطة بالبحر من جهة وبالحدائق والبساتين من جهة اخرى وهي كثيرة جدا واكثرها شجر البرتقال إذا لا يقع بصرك إلا على ازهار يانعة واوراق ناضرة من اشجاره وهو منبع ثروتها ومدار تجارتها واهم صادراتها يصدر إلى الشرق والغرب والبر والبحر وتربتها رملية ذهبية اللون وفيها من المواشي والحيوانات والطيور الأليفة وغيرها ما في حيفا اكثر سكانها الآن مسلمون إذ يؤلفون ٦٠ في الـ ١٠٠ من مجموعهم ويجيء من بعدهم اليهود ثم النصارى ولكن إذا دامت هجرة اليهود اليها على معدلها في الوقت الحاضر احرزوا الاكثرية في مدة وجيزة ولذلك تجد المسلمين والنصارى على اتفاق تام ضد هؤلاء الضيوف الثقلاء وماؤها من الآبار تستخرجه آلة رافعة من بئرها الكبيرة حيث يجمع في مخزن فتحمله القساطل إلى البلدة وهي من المدن القديمة جرت عليها وقائع كثيرة في الحروب الصليبية وقد برحناها وجهتنا القدس الشريف على القطار الساعة ٩ و٣٠ دقيقة من يوم الاربعاء سلخ محرم سنة ١٣٤٢ فوصلنا اللد المقدم ذكرها الساعة ١٠ ومنها تحولنا إلى قطار القدس فأقلع بنا الساعة ١٠ و٣٠ دقيقة ووصلنا الرملة بعد ١٥ دقيقة

الرملة

بلدة صغيرة ذات بساتين كثيرة اكثرها الزيتون وحولها قرى وضياع

ماؤها من الجبال وقد كان لها شأن خطير في صدر الإسلام إذ كانت يومئذ عاصمة فلسطين برمتهـا عمرها الوليد بن عبد الملك واخوه سليمان صاحب جند فلسطين وقديما كان اهلها يشربون من آبارها المالحة ولكن كانت فيها صهاريج مقفلة خاصة بالمترفين مع كثرة الفواكه وصحة الهواء تداولتها ايدي المسلمين والافرنج إلى أن خربها صلاح الدين سنة ٥٨٧ قال ياقوت وبقيت على ذلك الخراب إلى الآن وفيها على ما روى بعضهم (الجـامع الأبيض) ويقال انه مدفون فيه (٣٠٠) من الأنبياء والصديقين صلوات الله عليهم اجمعين ثم «النعانة» تبعد عن الرملة ١٠ دقائق حولها قرية وضيعة ماؤها من الجباب ثم (وادي الصرار) تبعد عن النعانة ١٥ دقيقة وفيها ضياع مأهولة ماؤها من الجباب ثم (عرتوف) تبعد عن وادي الصرار ٢٠ دقيقة مأهولة بالعرب ماؤها من الجباب ثم (دير الشيخ) تبعد عن عرتوف ٣٠ دقيقـة وهي محطة مجردة ثم (بتّير) تبعد عن دير الشيخ ٣٠ دقيقة وقربها قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة أكثرها الكروم ماؤها من الجباب ثم (القدس الشريف) وصلناها الساعة ١ ليلا واقلتنا اليها مركبة من محطتها الواقعة غربي البلد على مسافة ميل واحد منها ونزلنا في بيت (محمود)

القدس الشريف

بلدة كبيرة واقعة على هضاب متجاورة وشعاب متدانية متصلة الابنية والعمارات من ظهور الجبال إلى بطون الاودية والشعاب تحيط بها مع ذلك جبال شامخة من جهاتها الأربع ويحدق بها سور قديم عظيم جدا ضخم البناء له ٤ ابواب في كل جهة من جهاته الاربع باب والقلعة في الجهة الغربية من قرب الباب الذي يسمى اليوم (باب الخليل) طولها ١٤٠ قدما

في عرض ٦٢ قدماً في جهتها الغربية والشرقية ٨ ابراج لكل جهة ٤ وفي جهتيها الجنوبية والشمالية ٦ ابراج لكل جهة ٣ وداخل القلعة ٤ معـ :قل محكمة منفردة كل معقل لا يتصل بالآخر بعضها عامرة والأكثر خراب ويحدق بالقلعة خندق عرضه نحو ٢٠ مترا في عمق ١٠ امتار من دخل اليه لا يسعه الخروج منها وقد عقد عليه بأزاء باب القلعة جسر وعلى الجسر حصن فهذا السور المشار اليه يحيط بالقدس القديمة المحافظــة على الطرز القديم وشوارعها ضيقة مطبقة بالحجاره وتشتمل على عدة اسواق مغطاة ومكشوفة واما (القدس الحديثة) فإنها خارج السور تتصل به من جهة الشمال جديدة العمارات واسعة الشوارع والحارات حسنة الأسواق وفي القدس كثير من البساتين يجود فيها الزيتون والكروم وتنمو فيها مــن الأشجار والبقول على رطوبة الهواء وبرودة الأرض ما ينمو في كثيرمن مدن سوريا إذاً مناخ القدس يشبه مناخ حلب في اعتداله وفيهاضياع كثيرة تزرع فيها الحبوب والذرة ومياهها مما يسيل إلى مصانعها من الأمطار في ايام الشتاء وفيها من المواشي والحيوانات الأهلية الخيول الجياد والحمير والبقر والغنم والمعز ويغلب على الوان حميرها السواد وفيها من الطيور الأليفة وغيرها ومن الدواجن الأهلية الدجاج والبط والحمام والفاختة والعصفور والخطاف والبلبل والدراج والسمنات والقطا إلا أنه اصغر من قطا العراق ويميل لونه إلى الحمرة وفيها من الوحوش الضبع والارنب والذئب والثعلب وابن آوى وارانبها على اشكال مختلفة والغالب على ثعالبها مــن الألوان الكدرة . واما فتحها على ايدي المسلمين فإن عمر بن الخطاب انفذ عمرو بن العاص إلى فلسطين ثم نزل البيت المقدس فامتنع عليه فقدم ابو عبيدة بن الجراح بعد أن افتتح (قنسرين) وذلك في سنة ١٦ للهجرة

فطلب اهل (بيت المقدس) من ابي عبيدة الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه اهل مدن الشام من اداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم على أن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب فكتب ابو عبيدة بذلك إلى عمر فقدم عمر ونزل (الجابية) من دمشق ثم سار إلى بيت المقدس فأنفذ صلحهم وكتب لهم بذلك وكان ذلك في سنة ١٧ وقد تداولتها بعد ذلك ايدي الدول الإسلامية إلى أن سقطت بأيدي الصليبيين الذين قصدوها من اقطار اوروبا بدافع التعصب الذميم وارتكبوا مع اهلها المسلمين افظع الفظائع الدالة على همجية اوروبا وبربريتها المتأصلة في نفوس اهلها وذلك سنة ٤٦٢ وبقي (البيت المقدس) بأيدي الصليبيين ٩١ سنة إلى أن استعاده منهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ٥٨٣ فحرك ذلك احقاد صليبيي اوروبا مرة اخرى وخرجوا إلى محاربة المسلمين سنة ٦١٦ ولكنهم عادوا بخفي حنين على ان التقادير الإلهية قضت بخروج (القدس الشريف) من ايدي المسلمين وسقوطه بأيدي الانكليز سنة ١٣٣٤ ولا يزال بأيديهم إلى الآن واما ما ورد من الأخبار والآثار من طرق الفريقين بشأن هذه البقعة الشريفة المباركة وانها اقرب بقعة في الأرض إلى السماء وانها ثالث الحرمين واولى القبلتين وانها قرار الانبياء ومدفنهم وان الصلاة فيها خير من الف صلاة في غيرها إلى هذا وغيره فمما لا يتسع الوقت لشرحه وليس هو من شرط هذه العجالة فراجعه في مواضعه من كتب الأخبار والأحاديث الشريفة

الحرم الشريف

واما المسجد او الحرم الشريف فهو في الطرف الشرقي من المدينة

القديمة نحو القبلة يتصل سور المدينة بسوره فيحسبان سورا واحدا طوله من الجنوب إلى الشمال ٦٦٠ قدماً وعرضه من المشرق إلى المغرب ٤٠٦ اقدام له ١٠ ابواب و٤ مآذن وفي وسط ساحته الشريفة مصطبة عالية ترتفع قدر ٥ اذرع كبيرة طولها ١٥٠ قدماً وعرضها مثلهن ويصعد اليها من عدة مواضع بجملة مراقي وسلالم وفي وسط هذه المصطبة القبة الشريفة المعروفة بقبة الصخرة تشرع اليها ٤ ابواب من كل جهة باب وفيها كثير من المواضع الشريفة والمقابر المنيفة وآثار الأنبياء والعباد والصالحين اهمها اثر قدم النبي عليه الصلاة والسلام والقبة مثمنة الشكل داخلها ١٦ عمودا من الرخام الأبيض تتألف منها ٨ اساطين او بلاطات تقوم عليها اجنحتها الثمانية هذا ماعدا تلك الأعمدة الرخامية التي تحمل نفس القبة ومجموعها ١٢ عمودا تتألف منها ٤ اساطين فمجموع الاعمدة داخل القبة ٢٨ عمودا والاساطين ١٢ اسطوانة وهي من عمارة عبد الملك بن مروان سنة ٧٠ واما الصخرة الشريفة فإن تحتها مغارة ينزل اليها بسلم عدتها ١٢ درجا مبلطة بالرخام وهذه المغارة يصلى فيها وتزار وفيها مصلى داود عليه السلام ومصلى ابنه سليمان (ع) الصخرة دورتها ٦٠ قدماً وهي كالسقف لهذه المغارة ولها رواقان عرض الأول ١٨ قدماً ومحيطه ١٥ قدماً والرواق الثاني يتألف من الاساطين التي تحمل القبة وقد مضى ذكرها وقداديرما بين هذه الأعمدة شباك من حديد محيطه ٧٠ قدماً وعرضه ما بين الشباك والصخرة مما يلي الجنوب والمغرب ٥ اقدام ومما يلي المشرق ٣ اقدام ومما يلي الشمال قدمان أما الاقصى المبارك فإنه داخل الحرم المذكور تجاه قبة الصخره ومن الجنوب على مسافة ١٢٠ قدماً بينهما طوله ١٠٥ اقدام وعرضه ٨٢ قدما معقود السقف على ١٠ اعمدة طولا و٦ عرضا وله ١٠ ابواب منها ٧ على نسق واحد من

جهة الشمال تظللها سقيفة ولكل جهة من الجهات الثلاث الباقيــة باب واحد ويحاذي الباب القبلي منه المنبر المشهور الذي عمل على عهد الملك نور الدين بن ايوب من الأبنوس وفيه من نفاسة الصنعة واتقانها ما فيه اما عمارة المسجد الأقصى نفسه فترتقي ايضا إلى عبد الملك بن مروان وفي الحرم الشريف (بئر الورقة) ماؤها اعذب شروب منه يستقي المقدسيون لأن بقية آبار المدينة ردية المياه وفيه قبر سليمان بن داود عليهما السلام في بيت يلاصق السور شرقا طوله ١٧ قدماً وعرضه ١٣ قدما عليه محراب من رخامة بيضاء مغطاة ببردة حريرية خضراء وليس عليه شباك ووراء السور مما يلي الجنوب على نحو ١٠ دقائق قبر نبي الله داود على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام داخل جامع طوله ٥٠ قدما في عرض ٣٠ قدماً معقود السقف على ٤ اعمدة من الرخام طولا و٣ عرضا وطول صحنه ٣٠ قدماً في عرض ٢٠ قدما اما القبر الشريف المذكور ففي بيت مما يلي الشمال طوله ١٠ اقدام في عرض ٨ اقدام وعلى دكته بردة وليس عليه شباك ووراء السور ايضاً على نحو ١٠ دقائق شرقا قبر (مريم) بنت عمران عليهما السلام عليه كنيسة عظيمة فيها مغارة عميقة ينزل اليها على ٢٠ درجة والقبر داخل المغارة في شباك مزخرف بانواع الزخرف وضعوا عليها تمثالها وعلى التمثال من الحلي والذهب والأحجار الكريمة والقناديل وطرائف البلور الثمينة مبالغ هائلة

كنيسة القمامة

من اهم آثار القدس الشريف الكنيسة الكبيرة المسماة كنيسة (القمامة) وتسمي عند النصارى (كنيسة القيامة) وهي كنيسة فخمة البناء

وثيقة الأركان يرتقي عهدها إلى سنة ٧٥٠ من تاريخ الميلاد فيها تمثال عيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام على هيئة الصايب في حالة الصلب وتمثاله على المغتسل وقبره كما يزعم النصارى وليس في البيت الذي يشتمل على تمثال صلبه شيء من النفائس الظرائف وفي الكنيسة ايضاً تمثال مريم عليها السلام في حالة الحزن وتمثال حواريها المواسيات لها في ذلك وفي هذه يحضر البطريك الكبير ويجلس تحت قدمي المسيح عليه السلام وعلى القبر المذكور شباك مموه بالذهب مطعم بالفضة وفيه من النفائس المعلقة والاحجار الثمينة مقادير كبيرة وداخل هذا الشباك شباك ثان فيه القبر علقت عليه درة ثمينة ما عدا سائر الأحجار واليواقيت ويقف على باب القبر في كل ساعة راهب بهيئة الحزين ومن ابدع التماثيل في الطابق الثاني من هذه الكنيسة تمثال مريم يحكي الممثل تماما وعليه من الحلي ما يعجز القلم عن وصفه وتقديره وفي الغرف ايضا من الجواهر والأحجار الثمينة والنفائس المعلقة اكثر مما على قبر مريم وعيسى عليهما السلام هذا فضلا عن عدد كبير من التماثيل والأقانيم القديمة والحديثة وهذه الكنيسة اقدم كنائس النصارى واهمها في الشرع وفيها لكل فرقة من فرقهم معبد خاص ولكن مفاتيحها مع ذلك بيد المسلمين منذ بدء الفتح الإسلامي إلى الآن عملاً بما اشترطه على نصارى القدس عمر بن الخطاب في مقابل ترك الكنيسة المذكورة على حالها لأن المسلمين حولوا كثيراً من الكنائس في الفتوح الإسلامية إلى جوامع ولما انسحب الأتراك من فلسطين واحتلها الأنكليز حملت اليهم المفاتيح المذكورة فردوها على خازنها من المسلمين قائلين ان البلاد اسلامية فيجب ان يبقى القديم على قدمه إلى هذا وغيره من احوال هذه الكنيسة مما لا يمكن

بسطه في هذه العجالة واعلم أن ما تقدم ذكره من المقابر والمعابد والمشاهد انما هو في القدس نفسها وهناك في اعمالها ونواحيها كثير من قبور الأنبياء ومشاهدهم الشريفة كما ستعرفه من قريب

الخليل

قصدنا من القدس زيارة الخليل يوم الجمعة ثاني صفر سنة ١٣٤٢ حيث اقلتنا اليها سيارة الساعة الواحدة نهارا إذ ليس بين البلدتين سكة حديد فقطعنا المسافة اليها في ساعة وهي مدينة اصغر من القدس القديمة تحيط بها من جهاتها الاربع جبال شاهقة وفيها بساتين اكثرها الكروم وماؤها من الآبار وفيها من المواشي والحيوانات الأهلية والوحشية والطيور ما في القدس وقد سميت بخليل الله ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام وهي من المدن القديمة في فلسطين قال ياقوت الخليل اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم وبالخليل سمي الموضع واسمه الأصلي (حيرون) وقيل (حيري) وفي التوراة ان الخليل اشترى من (عفرون) بن (صوحار) الحيثي موضعا بأربع مائة درهم فضة ودفن فيه (سارة) وهو موضع طيب نزه روح اثر البركة ظاهر عليه ويقال ان حصنه من عمارة سليمان بن داود عليه السلام

جامع الخليل

وفي الخليل جامع له من الشأن والجلال والبهاء الإلهي ما ليس لغيره وفيه من التأثير على نفوس قصاده والأخذ بمجامع قلوب رواده ما لا يعهد في سواه مع انه خال من الزينة والزخارف ولا اثر فيه للصنائع والطرائف

ولم لا يكون كذلك وقد اشتمل على قبور أنبياء الله ورسله وسفرته إلى الخلق من قبله ففيه من قبورهم الشريفة قبر خليل الله ابراهيم وسارة زوجته وقبر اسحاق ابنه وقبر يوسف وابيه يعقوب على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام فما اشرف بقعته من بقعة وما اشرف تربته من تربة ؛ طول هذا الجامع المبارك ١٠٥ اقدام في عرض ٢٤ قدماً معقود السقف على ٤ بلاطات وله ساحة على طوله وعرضه ٢٠ قدما وقبر الخليل في بيت مابين الجامع وصحنه مما يلي الجنوب طوله ١٥ قدماً في عرض ١٠ اقدام وخلفه قبر سارة مما يلي الشمال بينهما مسافة ٥ اقدام وعلى قبريهما محرابان من الرخام الأبيض قد غشيا ببردتين من الحرير الأخضر ودون كل قبر على عرض البيت شباك من البرنز الاصفر وتجاه هذا البيت أي (الحجرة) بيت ثان بمقداره فيه مما يلي الشمال قبر يعقوب عليه السلام ومما يلي الجنوب قبر يوسف عليه السلام عليهما محرابان وستارتان وشباكان كما رأيت في قبر الخليل اما قبر اسحاق وزوجته ففي وسط الجامع عليه مشبك من الحجر الطبيعي . رجعنا من يومنا الى القدس الشريف بعد قضاء الوطر من زيارة الخليل وبتنا ليلة السبت فيها وبرحناها صباحا على القطار إلى (اللد) حيث وصلنا الساعة ٥ نهارا وانتقلنا إلى قطار (سينا) وقد برح اللد الساعة ٥ و ٣٠ دقيقة فوصلنا محطة (رخبوط) وهي من لد على ١٥ دقيقة حولها قرى وبساتين ماؤها من الجباب ثم (يبنه) تبعد عن رخبوط ١٠ دقائق حولها قرية ماؤها من الجباب ثم (مجدل) تبعد عن يبنه ٢٠ دقيقة وهي قرية كبيرة حولها بساتين وضياع كثيرة ماؤها من الجباب ثم (دير سينا) تبعد عن المجدل ٢٥ دقيقة حولها قرى وضياع ماؤها من الجباب ثم (غزة) تبعد عن دير سينا ٢٥ دقيقة

غزة

بلدة كبيرة تخترقها السكة الحديدية وهي ساحلية البحر منها على مقدار ميل وعمارتها على الطرز القديم وحولها قرى وضياع مأهولة بالعرب وماؤها من جباب وهي بلدة قديمة سماها العرب قديما (غزة هاشم) لأن هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فيها وعمره ٢٥ سنة وقيل ٢٠ وبها قبره قال ياقوت غزة مدينة في اقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان او اقل وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان ثم (خان يونس) تبعد عن غزة ١٥ دقيقة وفيها قرية ماؤها من الجباب ثم قبر (عمير) تبعد عن خان يونس ١٠ دقائق وهي محطة مجردة قفراء ماؤها من القطار ثم (العريش) تبعد عن قبر عمير ٢٠ دقيقة

العريش

بلدة كبيرة في شرق السكة الحديدية فيها نخل كثير وليس فيها عمارة ضخمة وماؤها من الجباب وقد انحطت عما كانت عليه قديما فقد قال الحسن ابن محمد المهلبي مدينة العريش مدينة جليلة كانت حرس مصر ايام فرعون وهي آخر مدينة تتصل بالشام من اعمال مصر ويتقلدها والي الجفار وهي مستقرة وفيها جامعان ومنبران وهواء صحيح طيب وماؤها حلو عذب وبها سوق جامع كبير وفنادق جامعة كبيرة ووكلاء للتجار ونخل كثير وصنوف من التمور ورمان يحمل إلى كل بلد بحسبه واهلها من جذام ثم (مزار) تبعد عن العريش ٣٠ دقيقة وهي محطة مجردة ماؤها من القطار ثم (العبد) مثلها وتبعد عنها ٢٥ دقيقة ثم (الخربة) كذلك تبعد عن العبد ١٠ دقائق ثم (القنطرة)

القنطرة

اسم محطة سينا الواقعة على ترعة السويس وصلناها الساعة ١١ نهارا ولم ننج فيها من تبعات العراق وذلك ان الأنباء كانت قد حملت الينا قبل حركتنا من سوريا خبر تلوث العراق بالهيضة فقررت مديرية الصحة في مصر وضع الحجر الصحي في القنطرة على الداخلين إلى مصر من العراق فدخلنا الحجر بعد الإطلاع على جوازاتنا وامضينا فيه ٥ ايام ثم برحنا القنطرة يوم الخميس في ٨ صفر سنة ١٣٤١ عابرين ترعة السويس إلى محطة مصر في ضفتها الاخرى

ترعة السويس

هي الحد الفاصل بين آسيا وافريقيا الواصل بين البحرين البحر الاحمر والبحر الابيض او بين بحر العرب وبحر الروم عرضها نحو ٧٥ مترا وعمقها ٢٠ مترا تمخر فيها البواخر والسفن الشراعية الكبار وليس على ضفتيها بلدان ما عدا قرى الفلاحين والصيادين مخرجها من البحر الابيض حيث قامت مدينة (بورت سعيد) وهناك للانكليز معاقل حربية منيعة ومنتهاها في البحر الأحمر حيث قامت مدينة (السويس) قرب اطلال مدينة (القلزم) المعروفة هي وخليجها في تاريخ العرب والمسلمين وهناك ايضا للأنكليز معاقل حربية حصينة وطول هذه الترعة من مخرجها إلى منتهاها (٢٥٠) ميلا وقد قام بحفرها المهندس الافرنسي (دلسبس) سنة ١٢٩٧ ﻫ على نفقة شركة فرنسية انكليزية هو رئيسها وللحكومة المصرية بعض الاسهم فيها مقابل اعطائها امتياز حفر الترعة للمهندس المذكور وقد تمّ حفر الترعة وفتحها على عهد الخديوي اسماعيل واحتفل بفتحها احتفالا لم

يسبق له مثيل في الاسراف والبذخ ولا تزال مصر تشكو من عواقبها الوخيمة إلى الآن واقيم للمهندس المذكور تمثال على فم الترعة وقد قلقت انكلترا قلقا عظيما على الهند منذ المباشرة بحفر الترعة وادركت انها اخصر الطرق واقربها إلى مستعمراتها هناك فاتخذت جميع الوسائل لامتلاكها والسيطرة عليها حتى تدخلت بشؤون الحكومة المصرية ورسخت قدمها باحتلال البلاد وتشييد المعاقل الحربية وارصاد الحاميات والمعدات الكافية فيها استعدادا لكل طارئ وبذلك فازت على مناظريها وتم لها ما تريد حتى الآن وقد عبرنا الترعة على قارب وذلك بعد قضاء مدة الحجر الصحي فركبنا القطار المصري الساعة ٧ فوصلنا إلى محطة (البلّاح) تبعد عن القنطرة ١٠ دقائق ثم (القردون) تبعد عن البلاح ١٠ دقائق ثم محطة الاسماعيلية تبعد عن القردون ١٥ دقيقة

الاسماعيلية

مدينة كبيرة خططها الخديوي اسماعيل باشا عليها مما يلي الغرب تمر السكة الحديدية ويذهب منها فرع الى السويس وهي بلدة حسنة لطيفة الموقع كل ابنيتها على الطرز الحديث اسواقها وشوارعها واسعة منظومة وبساتينها كثيرة وفي شرقيها بحيرة يرويها جدول باسمها حفر اليها من وادي النيل وهو جدول واسع عرضه من مخرجه نحو ٢٥ مترا تسير فيه السفن الشراعية ويسقي المزارع والضياع الكثيرة على جانبيه ويتضايق قرب الاسماعيلية حتى يكون عرضه ٥ امتار ومنها يذهب إلى (بور سعيد) مخترقا الطريق ما بين الترعة والسكة الحديدية وهي على الضفة اليمنى من الترعة ومنه تستقي المحطات المار ذكرها حتى القنطرة ثم محطة (ابو سوير)

تبعد عن الاسماعلية ١٠ دقائق ثم (المحسمة) تبعد عن ابو سوير ١٥ دقيقة وهي قرية حولها ضياع ثم (القصاصين) تبعد عن المحسمة ٢٠ دقيقة وهي قرية حولها ضياع ثم (التل الكبير) تبعد عن القصاصين ٢٥ دقيقة وهي قرية حولها ضياع وبساتين ثم (ابو حماد) تبعد عن تل الكبير ١٥ دقيقة وهي قرية ذات ضياع ثم (الزقازيق) تبعد عن ابو حماد ١٨ دقيقةوهي بلدة كبيره حسنة تخترقها السكة الحديدية طولا والمحطة في الوسط وحول البلدة ضياع وبساتين كثيرة ثم (مينا القمح) تبعد عن الزقازيق ٢٠ دقيقة حولها ضياع وبساتين ثم (بنها العسل) تبعد عن ميناء القمح ١٥ دقيقة وهي بلدة كبيرة اكبر وافخم من الزقازيق حديثة طرز العمارة واسعة الشوارع والاسواق جمة الضياع والبساتين تخترقها السكة الحديدية عرضاً ومنها يذهب فرع الاسكندرية ثم(مصر القاهرة)

مصر القاهرة

وصل القطار إلى محطة مصر القاهرة الساعة ١١ نهارا وهي داخل المدينة ركبنا منها سيارة إلى نفس المدينة ونزلنا في (نزل القلوب المصري) جوار مشهد رأس الحسين (ع) وقارن وصولنا إلى القاهرةوصول زعيمها الشهير (سعد باشا زغلول) وعودته اليها من منفاه وقد اشتركت بالاحتفال برجوعه الديار المصرية برمتها داخلها وخارجها مدنها وارياقها مما لا يتفق له نظير قط فيها ولا يسعنا بسط ما تم في تلك الاحتفالات التي قامت بها مصر والمصريون تجاه بطلها المحبوب وإنما نذكر طرفا من ذلك مع تقديم مقدمة تتعلق بالموضوع

المسألة المصرية وسعد باشا زغلول

لما القت الحرب العظمى اوزارها وامضيت الهدنة بين الدول المتحاربة بعد ان غلبَ فيها من غَلب وغُلب فيها من غُلب وذلك سنة ١٣٣٧هـ ثم بدأت المذاكرات والصلح واذاعت دول الحلفاء اذاعتها المشهورة التي صرحت بها ان غايتها من الحرب تحرير الشعوب الضعيفة ومساعدتها على تحقيق امانيها في الاستقلال التام قامت الأمة المصرية عن بكرة ابيها تطالب الانكليز بحقوقها في هذا الباب وثارت ثورتها المشهورة في تلك السنة اي سنة ١٣٣٧ هـ الموافقة سنة ١٩١٩ م واصبح سعد باشا لسان حال الأمة المصرية في مطالبها التي تطالب بها الأنكليز منذ ذلك الحين ومما اقترحه وجوب تمثيل الأمة المصرية في مؤتمر الصلح وارسل بذلك مذكرة إلى الحكومة المصرية وإلى معتمد الانكليز فلم يلتفتوا إلى اقتراحه غير ان ذلك لم يثبط من عزيمته بل صمم على مغادرة القطر المصري على كل حال على رأس وفد من قادة الرأي العام في مصر والذهاب الى مؤتمر الصلح للمطالبة بحقوق المصريين بعد ان فوضه المصريون تفويضا مطلقا على اختلاف طبقاتهم فأبحر مع رفقائه من الاسكندرية على باخرة انكليزية قاصدين فرنسا ولكن الباخرة المشار اليها عرجت بهم على جزيرة مالطة حيث اعتقلته السلطة الانكليزية فيها فهاج الشعب المصري وماج بأسره وقام بمظاهرات وثورات عظيمة احتجاجا على هذا العمل الماس بكرامة المصريين مما الجأ الانكليز إلى الإفراج عنه واطلاق سراحه وسائر رفقائه فعادوا إلى مصر ومازال المصريون على مطالبهم متذرعين بجميع الوسائل الى تحقيق آمالهم الى ان سمحت السلطة البريطانية للوفد المصري الذي

يرأسه سعد زغلول باشا بالذهـاب الى لندن للمداوله في مطالبهم مع الحكومة البريطانيـة وقد ذهبوا واقاموا مدة طويلة مترددين بين لندن وباريس وجرت بينهم وبين الحكومـة البريطانية مداولات كثيرة ثم عادوا الى مصر دون ان تسفر تلك المفاوضات عن اتفاق بين الفريقين ثم ان السلطة البريطانية نفت بعد مدة سعد باشا زغلول مـع ثمانية من رفقائه الى جزيرة « سيشل » من جزر مستعمراتها الهندية واعتقلته هناك ٢١ شهراً قامت في اثنائها مصر بكثير من مظاهراتها الخطيرة وارسلت كثيرا من الإحتجاجات اشترك بـذلك النساء والرجال والصغار والكبار حتى امتلأت السجون وغصت الحبوس بالمصريين فلم يثنهم ذلك عما يريدون ولم يزل شعارهم « استقلالنا التام وعودة زعيمنا اونتفانى عن آخرنا » واما سعد باشا فقد عجمت السلطة عوده في منفاه الأخير فوجدتـه ذلك الرجل الأشوس الأقعس الذي لايقعقع له بالشنان ولا يرمى به الرجوان ولا تزيده الخطوب النازلة والنكبات الفادحة الا صلابة في رأيه ومضاء في عزيمته وكلما طولب بالكف عن غلوائـه والتنازل عن بعض آرائه اجاب [انني حملت امانة ائتمنتني عليها الأمة فلا يعقل ان اخونها فيما أئتمنتنى عليه من وجوب الحصول على الاستقلال الناجز التام او الموت] ولما ايست السلطة منه اطلقت سراحه مع رفقائه وقـد اثر هواء الجزيرة المذكورة على صحته فسافر منها رأسا إلى فرنسا حيث أقام في تلك البلاد مدة شهرين انتجاعا للعافية فلما طيرت البرقيات خبر مغادرته فرنسا إلى مصر تألفت الوفود في جميع انحاء القطر المصري لاستقباله حتى اكتظت بها مدينة الاسكندريـة وزينت البلاد بالأعلام المصرية والمصابيح الكهربائية وكان يوم قدومه يوما تاريخيا مشهودا وقد هتفت له الجماهير حينما

نزل من الباخرة الفرنسوية المقلة له الى رصيف الاسكندرية وذلك يوم الاثنين في ٥ صفر سنة ١٣٤٢ وساروا به الى القصر الكائن في حديقة [سافوي] حيث أعد لنزوله فأخذ يستقبل الوفود والزوار وفداً بعد وفد وجهوراً بعد جمهور وتسابق الخطباء والشعراء في القاء الخطب والقصائد الحماسية وانشد تلاميذ المدارس اناشيدهم الوطنية وقد راقتنا من بين تلك الخطب خطبة حسن افندي ياسين فأوردناها بنصها وفصها واليك هي :

مولاي

انت ابو الشعب تطوء بقدميك ارض الوطن المقدس فيسكن القلبان قلب الوطن الذي بجناح الشوق اليك خافق وقلبك الكبير الفتي الصادق ها أن شخصك المهاب الذي ابعد فتبعد فتألم فازداد بركة قد وسعت مصر فرفع الرجس عنها وطهرها تطهيرا هاقد أتيت محاطا احاطة الهالة بالقمر بالعائدين معك ومن تقدرهم الامة تقديرا ها قد سمى زعيمنا الى المليك فتقابلت مرآتان تعكس كل واحدة نورها على الاخرى احداهما تحتوي العطف والصفاء والثانية تشتمل الحب والوفاء

هاهي الشمس التى غابت في قلوبنا وارسلت اشعتها وبرقها من خلال احداقنا تنير اليوم سماءنا حمرة الذهب وينبعث منها ضياء الجبين ' اما الاحمرار فهو حقنا الصريح مضرج بالدم منذ غيابك امامتسلسل الانوار فأرواحنا تعلقت بك وتمسكت بأهدابك هاهم ابناؤك بين يديك ضمهم الى صدرك الذي يسع الدنيا وهم لايقدرون مما فرحوا على شيء ينظرون فلا يقوون على النظر ويستمعون فيذهب الكلم الطيب بأفئدتهم ويحسون فيرقون الى السماء بطربهم وما سماؤهم المزدانة الا ان تنور نورها وصوتك الرنان شجي كأغاني ملائكتها وافراح بنيك من حولك كأفراح الحور

والولدان من حول العرش اما مصابيحها كأعمالك التى اصبحت ظواهر طبيعية تتراءى أي لأهل المشرق والمغرب . مولاي لقد فتحت باب الجهاد باب الجنة وعدوابها اقوياء الإيمان فرن صريره طبل المسامع في القلوب وحسرت لنا عن ضياء الحق عن نور على نور عن الاستقلال فاتت حشرات الظلام او كادت ورحمة ربك من سعد قريب . سعد . وما اعذب هذا الاسم وما احلاه ومابر شعب مصر بشخص صاحبه الخالد وما اسماه شعب نطقت صبيته باسمك قبل حين نطقهم شبان اشعلت الجحيم من نفوسهم ورؤوس رجال الهتهم بمجد البطولة عن آمال الحياة الدنيا شيوخ ارجعتهم إلى الصبا ولاحين النشور شعب تضمك نسوته في حيث ماوضع الكحل والسحر وتخضلن بماء الدمع ورود وجناتهـا لطل الندى وصفك اوذكر ناشئات نشأن في نعيم النعيم ما عرفن الهواء الافيك ومحجبات امتنعن عن الريح والشمس والقمر هرعن يوم الأوب اليك غبت عنا في يوم نحس مستمر والمت ملمات استقلالية على زعمهم بتنا من هولها في حال هي ادهى وامر وصفقنا على انفنا صفقات ارادوابها ان ينذر بطشهم فتمارينابالنذر لقد برزوا ولنا صفاء لذهبهم بريق ولسيوفهم الماضيات التماع وصليل وقفنا قبالتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا مثبتين بقوة اليقين ثم مـاذا انثلمت السيوف اوحلت من قلوبهم فلا أغماد وبعثرت أموالهم اوحالت في بطونهم نارا مقرنين بها في أصفاد الحديد . اما مصر فزادها شحوب الاهوال جمـالا وتوالي الحـادثات صقالا وهـاهي تنفر اليك ياسعـد خفافا وثقـالا . يا سعد . واين من الفانين خلد الجـدود من للفاني بمحله وبمقامه مثل ما للباقي حين يستطيع لقد اسدته مخاطبة اويتبع لها سببـا على ان ذلك لا يمنع ان يخاطب الشاعر البحر والاول حقير ضئيل

والثاني جليل وكالأبد لا يحده شيء لقد ابعدوك فقربت وعذبوك فما تململت ومنعوا ذكر اسمك الكريم فكأنما على القلوب وشغف النفوس والنواظر انطبقت، نقلوك من مكان الى مكان ابتغاء الاستيحاش والافتراء وارادوا ان يصدوك عن سبيل الحق فاصددت ثم بدا لهم من بعد ان رأوا الآيات هنا ما كانوا من امره هناك على عمياء فحرروك فأطلقت ولئن عجبنا من نفيك فمددناه الد الخصام ولئن كانوا هم قدفرحوا به فمدوه امرا واجبا للسلام والوئام لقد لقيت من نفيك هذا نصبا ولقي المصريون منه عجبا

لقيت ولقينا ثم رددت الينا فوجدنا خيرا كثيراً من كل ذلك منقلبا

مولاي تحييك تحية الشبيبة منك الموقد في صدورها وعقولها النار وتحيي مصر المتهالك في حبها المتفاني والخالع العذار تحيي التضحية منك اوحدها والشيخوخة امردها والبلاد فيك مجدها وسوددها تحييك من تحت اطباق الثرى اجساد رسمك آخر صورة في فكرهم واسمك آخر دعواتهم وذكراهم تحييك سكان القبور

وهنا بكى الزعيم وختمت الخطبة والقيت خطب عديدة على هذا النحو واشد حماسة لا يسع ذكرها وبعد هذه الخطبة قابله الشعراء بالقصائد الرائقة ولم نتمكن من احصائها ولكن اعذبها قصيدة الأديب عبد المجيد افندي بدر وهي هذه

اليوم عاد لمصر رمز حياتها — ومجاهد الاعداء عن رغباتها

فلتبد ما اخفته من زيناتها — من بعدما صبرت على اعناتها

فلسعد كوكبه عليها يطلع

عاد الذي باتت عيون قبيله — عبرى تسح دموعها من اجله

مقروحة والنوم في اهواله كالموج بين قدومه ورحيله
لا يستقر وقد اقض المضجع

عاد الذي عمدوا الى تغريبه في موضع لم تسمع الدنيا به
حتى يقلّ رجاؤها في اوبه لكنهم جهلوا عزائم شعبه
واليأس ليس له لدينا موضع

عاد الذي فلّ القنا بلسانه وبلاغ حجته وسحر بيانه
لم يدرع زردا على ايمانه بطل اذا نزلوا الى ميدانه
نطقت يراعته وعي المدفع

قالوا ننحيه وزمرته معا ونسوم مصر العسف حتى تخضعا
ونصير المعمور منهم بلقعا زعم الفرزدق ان سيقتل مربعا
ابشر بطول سلامة يا مربع

ومضوا به ظناً بأن بلاده ترضى المذلة والمهانة بعده
او انها ستطيق يوماً بعده وتهدم الصرح الذي قد شاده
من صخرة صماء لا تتصدع

ما راعهم الا ظهور رجاله وتقدم الابطال من اشباله
وقفوا حياتهم على آماله وتجلدوا نسجاً على منواله
لم يضعفوا ابداً ولم يتزعزعوا

حملوا امانته ولم يتهيبوا ان يعدموا من اجلها او يصلبوا
وتشددوا في الحق حتى غيبوا في السجن تسعة اشهر لم يرهبوا
سيفاً يجرده الخصوم فيلمع

وتسابق الأمجاد من قوادكم فتسلموا في الحال بعد جهادكم

وتقدموا للموت في انجادكم واستبسلوا في صون حق بلادكم
وبذاك فات على الخصوم المطمع
لم يغن عن اعدائنا مادبروا كلا ولا اغني الذين استأجروا
ولت محافلهم فلما ادبروا خلصوا نجياً مدة وتفكروا
في الخطة المثلى التي قد تنفع
فطنوا الى ان البلاد بأسرها تأبى الخضوع ومكثها في اسرها
عصروا القرائح في وسائل قهرها فاستهولوا ما كان من اصرارها
امنية كبرى وشعب مجمع
كم حاولوا ان يحملوه على الرضا بالدون فاستعصى وضل معارضا
ويقول إن هناك ليثاً رابضا ابعدتموه موكلا ومفوضا
وله من المهج المكان الأرفع
ردوه ان شئتم والا فاعرفوا انا سنعرف كيف يرجع من نفوا
فاستكثروا منا الكلام واسرفوا واجابنا مندوبهم لا تلحفوا
لزعيمكم ورفاقه لن يرجعوا
فالآن اين عميدهم حتى يرى شعبا يخف من المدائن والقرى
يلقى الزعيم وصحبه مستبشرا واذا توانى الشعب عنه وقصرا
فلمن سواه اذاً يكون المهرع
ياسعد إن الشعب رغم قيوده يسعى الى لقياك في اصفاده
علما بأنك انت رافع بنده ولواء نهضته وراية مجده
وزعيم ثورته الابيّ الأروع
ياسعد مصر تئن في اغلالها وقد انتقتك وانت خير رجالها

وكلت اليك السعي في استقلالها والى الذين اخترت من ابطالها

فاسلم . فأنت بحبها متمتع

وقد اقامت البلدية تلك الليلة مأدبة تكريمية لسعد باشا ورفقائه ولرؤساء الوفود فبلغ عدد المدعوين على مائدة الطعام الف رجل بين وجيه وكبير فضلا عن سائر الناس ومن الصباح اقله الى القاهرة قطار خاص ركب معه فيه الوجهاء والأعيان وركبت الوفود في القطارات التي ازدحمت في محطة الاسكندرية قادمة من جميع فروع السكة الحديدية وكانت الطريق بين البلدين على طولها مزدانة بالرايات والناس رجالا ونساء وقوف على جانبي السكة الحديدية فكلما مر القطار بقرية استوقفه اهلها فيقف حيث يطل عليهم هذا الزعيم فيهتفون له من صميم قلوبهم هتافا عاليا قائلين « ليعش سعد ارواحنا فداك ياسعد مرنا بما تشاء تجدنا ممتثلين » حتى تأخر لذلك وصول القطار الى القاهرة اربع ساعات عن موعده فإنه قام من الإسكندرية الساعة الثانية نهارا ووصل الى القاهرة الساعة ٩ مع ان المتعارف قطع القطار هذه المسافة في اربع ساعات فقط ولما وصل القطار الى القاهرة هرع عامة اهلها رجالا ونساء كبارا وصغارا الى المحطة وكان الزحام عظيما جدا وقد اخرجت السلطة بدعوى المحافظة على النظام عددا كبيرا من الشرطة يضربون الناس فلم يعملوا شيئا حتى مات جماعة من الإزدحام ثم نزل سعد باشا من القطار فسار به الناس الى بيته الذي يسمونه (بيت الأمة) ولم يصل اليه الا بعد ٤ ساعات لازدحام الناس في الشوارع وقد ظهرت القاهرة تلك الليلة بمظهر عظيم من الزينة بالاعلام المصرية والمصابيح الكهربائية مما لم يسبق له نظير وعلقت في الصباح صورة سعد باشا على ابواب البيوت والحوانيت واخذت الوفود تتوافد مسلمة عليه

وبالجملة فإن احتفال المصريين يومئذ بزعيمهم لم يسبق له نظير ولم يحلم به حتى الملوك اذ يقتصر الإحتفال بالملوك عادة على الجهات التي يستطرقونها واما سعد باشا فقد اشترك بالإحتفال به تقريبا اربعة عشر مليونا من المصريين

عاصمة القطر المصري

هي مدينة المدن العظمى في هذا القطر واقعة على ضفتي النيل معظمها على جانبه الشرقي تصل بين جانبيها ٤ جسور حديدية معقودة على النهر ٣ في نفس المدينة اعظمها الاوسط والرابع شمالي القناطر تمر عليه السكة الحديدية . ومصر القاهرة على ٣ اقسام مصر القديمة او العتيقة وهي (الفسطاط) التي اختطها المسلمون في بدء الفتح ومصر الوسطى وهي (القاهرة) التي انشأها الفاطميون ومصر الجديدة التى خططت اوائل هذا القرن ولا بأس بإيراد نبذة عن كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة

الفسطاط

لما اذن عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص في المسير الى (مصر) وسار اليها وفتحها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة ٢٠ للهجرة في حروب واخبار يطول شرحها اجمع على المسير الى الاسكندرية فسار اليها في ربيع الأول سنة ٢٠ وامر بفسطاطه ان يقوض فإذا بيمامة قد باضت في اعلاه فقال : (لقد تحرمت بجوارنا اقروا الفسطاط حتى تنقف وتطير فراخها) فأقر فسطاطه ووكل به من يحفظه ان لا تهاج ومضى الى الاسكندرية واقام عليها ٦ اشهر حتى فتحها فكتب الى عمر بن الخطاب يستأذنه في سكناها

فكتب اليه لا تنزل بالمسلمين منزلا يحول بيني وبينهم نهر او بحر فقال عمرو لاصحابـه (اين ننزل) فقالوا (نرجع ايها الامير الى فسطاطك) فنكون على ماء وصحراء فقال للناس نرجع الى موضع الفسطاط فرجعوا وجعلوا يقولون نزلت عن يمين الفسطاط وعن شماله فسميت البقعة بالفسطاط لذلك وتنافس الناس بالمواضع فولى عمرو بن العاص جماعة على الخطط نزلوا القبائل وفصلوا بينهم وقال صاحب كتاب العين على ما نقله ياقوت الفسطاط ضرب من الابنية والفسطاط ايضاً مجتمع اهل الكورة حوالي مسجد جماعتهم يقال هؤلاء اهل الفسطاط وفي الحديث عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط يريد المدينة التي تجتمع فيها الناس وكل مدينة فسطاط ومنه قيل لمدينة مصر التي بناها عمرو بن العاص (الفسطاط) بدئ تخطيط الفسطاط بأن بنى فيها عمرو بن العاص مسجده ومنازل جنوده فأصبحت من ذلك الحين حاضرة مصر ومقر الولاة والعمال والحكام من المسلمين وبقيت كذلك الى حين تأسيس القاهرة

القاهرة

مدينة احدثت بجانب الفسطاط اول من احدثها (جوهر الصقلي) قائد المعز ابي تميم معد بن اسماعيل الملقب بالمنصور ابن ابي القاسم نزار الملقب بالقايم بن عبيد الله وقيل سعيد الملقب بالمهدي وكان السبب في استحداثها ان المعز انفذه في الجيوش من ارض افريقيا للإستيلاء على الديار المصرية في سنة ٣٥٨ فسار في جيش كثيف حتى قدم مصر وقد تمهدت القواعد بمراسلات تقدمت وذلك بعد موت كافور فأطاعه اهل مصر واشترطوا عليه أن لا يساكنهم فدخل الى (الفسطاط) وهي مدينة

الديار المصرية فاشتقها بعساكره ونزل تلقاء الشام بموضع القاهرة اليوم . وكان هذا الموضع تبرز اليه القوافل الى الشام وشرع فبنى فيه قصرا لمولاه المعز وبنى للجند حوله فانعمر ذلك الموضع وصار اعظم من مصر وصار دار الملك ومسكن الجند بدلا من الفسطاط قال ياقوت فهي اي (القاهرة) اطيب واجل مدينة رأيتها لاجتماع اسباب الخيرات والفضائل فيها وذكر آخر ان القاهرة كانت في بدء تأسيس القائد (جوهر) لها عبارة عن (الجامع الأزهر) الذي تقدم القائد بإنشائه اول الامر وقصر (المعز الفاطمي) ومساكن جنوده ثم اتسعت حتى ابتلعت الضواحي واصبحت بفضل وجود الجامع الازهر محط رحال الطلاب والعلماء

مصر الجديدة

خططت منذ ٢٥ سنة على الطرز الأوروبي الحديث جميلة الأسواق حسنة الحارات واسعة الشوارع فيها عدة ساحات كبيرة مشجرة ذات حدائق وجنينات يكون منها مفترق طرق المدينة ولا تزال آخذة بالاتساع لأنها محط رحال الأفرنج والجاليات الاوروبية

وتعد هذه الاقسام الثلاث جميعاً مدينة واحدة اذ لا يفصل بينها شيء يحدها غرباً نهر النيل وجنوباً سلسلة جبال واطية وشرقا وشمالا سفي النيل وكله ضياع وبساتين وعمارة المدينة كلها بالأحجار الطبيعية المقطوعة من الجبال ومن الأدلة المحسوسة على كبر القاهرة وسعة رقعتها الارقام الآتية لوسائط النقل الداخلية في نفس المدينة فمن ذلك ١٥ الف سيارة [اتوموبيل] و٨ آلاف مركبة تجرها الجياد و ٣٥ الف مركبة لنقل الأمتعة التجارية و ٧٠٠٠ مركبة خاصة بالوجهاء والاعيان و ٨٠٠ مركبة

تابعة لسكة « الجر الكهربائية » وهي ممتدة في اقسامها الثلاث لها في
رأس كل شارع موقف وفي مفارق طرق محطات ومن هده السكة
فرع يخرج من « مصر الجديدة » مارا على الجسر الاوسط الى ضفة النيل
الغربية ويذهب الى الاهرامات وق قاهرة ايضا محطة عامة للسكك
الحديدية المصرية منها تتشعب عده فروع الى جهات القطر وهده السكك
ملك للحكومة المصرية لا الى شركة اجنبية واكثر سكان البلاد مسلمون
على مذهب اهل السنة وفي القاهرة من الشيعة الف بيت فقط يقومون
بشعائرهم المذهبية اظهر قيام وذلك في مشهدي رأس الحسين والسيدة
زينب عليهما السلام وفي غيرهما من المواضع ولهم على ذلك اوقاف واما
الاقباط والنصارى واليهود فيؤلفون ٢٥ في الـ ١٠٠ لا غير من مجموع
السكان . واقليم مصر احر من سوريا وابرد من العراق صيفاً وبردها في
الشتاء معتدل ليس بقارس كبرد سوريا والعراق ومناخها جيد في الصيف
وهي ترتفع عن سطح البحر ٣٠٠ متر أما الفجر فيطلع في غاية قصر
ليلها الساعة ٨ والدقيقة ١٠ وتشرق الشمس الساعة ١٠ فأفقها في هذا
الباب يزيد على افق العراق ١٢ دقيقة ليلا وينقص عنه ٢٥ دقيقة نهاراً
واما التهتك والخلاعة فحدث عنها ولا حرج في مصر فإنها من هذه الوجهة
افرنجية بحتة لا اثر فيها للأحكام الشرعية الدينية والآداب الاسلامية وكثيرا
مما نعده عيباً لا يعاب في مصر و كثيرا مما نحرمه يعد فيها من احل الحلال
وبالجملة ليس عند بعض الطبقات في مصر عار ولا ذام ولا مكروه ولا
حرام على ان هذه الأخلاق قديمة جدا في مصر مشهورة معروفة قبل الاسلام
غير منكرة بعده وقد جاء في كتاب « الخطط » للقضاعي على مانقله ياقوت
ان الغالب على اخلاق القوم في مصر « اتباع الشهوات والانهماك في

اللذات والاشتغال بالترهات والتصديق بالمحالات وضعف المراير والعزمات"

متنزهات مصر

في القاهرة متنزهات عديدة وجنائن كثيرة اعظمها "حديقة الازبكية" وهي حديقة واسعة فيها انواع الاشجار والازهار مغروسة على احسن نسق ونظام وارضها مكسية بحلة سندسية من الاعشاب المخضلة وبين ذلك طرق معدة لعبور المتنزهين والمتفرجين وفيها بحيرات تسبح فيها انواع واشكال من الاسماك وهناك كثير من الكراسي والمقاعد معدة للإستراحة للمتنزهين وفي الجنينة مقاهي يتناول فيها انواع المشروبات

لطيفة

لا انسى ليلة من الليالي وقد ضمني انا وفريق من الرفاق والأخلاء مجلس من مجالس هذه الحديقة الغناء وكانت ليلة مقمرة زادها لطفا تألق انوار المكان وتثني معاطف الاغصان وهبوب النسمات الرقاق وخفوق تلك الاوراق خفقان قلوب العشاق وقد اخذ كل من المتنزهين مجلسه فتراهم جماعات جماعات قد انتظموا في تلك القاعات انتظام الحباب في الزجاج اوالكوكب في الأبراج وبينما نحن نتجاذب الاحاديث وننتقل من القديم الى الحديث اذ وقف عليّ رجل افرنجي البزة اعور العين لاانسى انها اليمنى فسلم فرددنا ثم جلس بجانبي فما اخذ مكانه حتى وجه الي سؤاله قائلا . ممن الرجل قلت من دمشق الشام قال اهلا وسهلا ومرحبا ثم قال كيف تحكم فيكم فرنسا قلت له فرنسا الحاكمة ونحن المحكومون قال

فهل منهض فيكم حميتكم فتدفعونها عن وطنكم قلت كلا نحن لا نخاصم الملوك ولا ندافع الحكام قال هل تحبون الأتراك فقلت اما من حيث الجامعة الاسلامية فنعم فحينئذ تنحى الرجل عني قائلا [لا اهلا ولا مرحباً عراقيّ ورب الكعبة وقد فاتني ما كنت اتوقعه] فضحكت وضحك الحاضرون من قوله ثم قلت له ماذا انكرت علي ولم نسبتني الى العراق فقال لو كنت دمشقياً كما ادّعيت لكشفت سرك ولبان ما عندك ولنطق لسانك بما في قلبك ولكنها محاورات عراقية فقلت ما الذي تتوقعه وماذا يهمك من كشف سري فاكشف لي اذا شئت عن سرك لأبوح لك بما في ضميري فقال لي عهدت اليّ السلطة بمراقبتك والاطلاع على ما عندك والوقوف على غرضك من المجيء الى القاهرة وقد وعدت بجائزة ان انا حصلت على ذلك وها انت قد خيبتني وارجعتني كما ترى بخفي حنين فقلت له هل انت عراقي فقال بانكسار « نعم » ثم نهض وهرول مولياً ولم اره بعد ذلك

حديقة الحيوانات

ومن متنزهات القاهرة « حديقة الحيوانات » على ضفة النيل الغربية تبعد عن القاهرة ٥ اميال وتستطرقها سكة الجر الكهربائي في طريقها الى الأهرامات وهي حديقة كبيرة فيها انواع الاشجار الخشبية واشجار الفواكه والأزهار مغروسة على احسن نسق ونظام ارضها ممشبة ذكية الرائحة ذات طرق معتبرة يمر عليها المستطرقون وفيها ساحات وقاعات يسكن اليها المتفرجون وفيها بحيرات للحيوانات والطيور المائيـة واقفاص من

حديد للضواري كل ضار او سبع داخل قفص خاص واما غير المفترس فيجمع الجنس كله في قفص واحد و كل ما في الحديقة من هـذا القبيل مصطاد من بر مصر وبر افريقيا الجنوبية ولا تسع هذه العجالة وصفها على التفصيل بل لا نأمن الغلط والشطط اذا نحن تعرضنا الى ذلك وانما نقتصر على تسمية ما شاهدنا فيها من الوحوش والطيور وغيرها من الحيوانات فمن ذلك الأسود والفيلة والذئاب والضباع والدببة والارانب والقردة والثعالب والزرافة وحمار الوحش وبقره ومعزه وضأنه والتيتل الاحمر والمخطط والفنق والقط البري والثعابين البرية والبحرية ذوات القرون والجباء على اختلافها والجرذان . وفي الحديقة حيوانات البحر نوعان الاول التمساح وهو معروف والثاني حيوان مائي عجيب جـدا مضى على اصطياده من النيل سبع سنين وقد كبر في الحديقة شكله غريب عظيم الغرابة فيها مشابه من عدة حيوانات ويكاد يكون قدر متوسط بين البقر والجاموس رأسه رأس جاموس بلا قرن واذنه اذن جمل لكنه اوسع فماً منه ومشافره مشافر فرس وكذلك مناخره واسنانـه اسنان فيل وذنبه ذنب خنزير وللأرجله مخالب واظفار كمخالب الكلاب واظفارها هذه صورته وهي كما ترى غريبة جدا واغرب منها ذكاؤه فإن له بحيرة لاتكاد تراه الا راسبا في قعرها وله على شاطئها قفص حديدي يوضع فيه علفه وهو من الحشائش فإذا مسه الجوع خرج الى القفص واكل ما فيه ثم يعود الى الرسوب في البحيرة وقد سماه سائسه « سعيد » فإذا طلب اليه اخراجه وقف على حافة البحيرة وناداه باسمه « يا سعيد » فيخرج اليه مسرعاً ثم يقول له « اخرج يا سعيد » وادخل القفص » فيفعل حيث يدخل السائس معه فيفتح له فاه ويحشوه الرجـل حشيشا ثم يقول له اذهب (يا سعيد) فيخرج من

قفصه ويغوص في البحيرة وفي الحديقه ايضا من الاطيار البرية والمائية انواع كثيرة لا نعرف اسماء اكثرها وانما نقتصر على تسمية ما عرفنا اسماءه منهافمن ذلك . النعام . البعم . العناز . الغرنوق . الكركي . الشهبي البيوضي . المضيري . الجوشم . نعاج الماء . الدراج . التيهوج . الحبارى القطا . الصقر . النسر . الفاخته . الحمام . الببغاء على اختلاف اشكالها والوانها . البلبل . القمري . الهزار . ومن هذه الاطيار ما له اقفاص ومنها ما ليس له ذلك وهي تتزاوج وتبيض وتفرخ في الحديقة وقدرأينا نعامة ولها سبعة افراخ

واما ذوات الثدي من الحيوانات فإنها تتسافد وتتوالد ايضا في الحديقةومن ذلك الأسودفقد شاهدنالبوتين لأحداهما ٣ اشبال وللأخرى شبلان واعلم ان هذه الحدائق عامة يباح دخولها لكل احد بعد تسليم الرسم ولها مديرون وفيها مستخدمون وهناك متنزهات خاصة اخرى في القناطر الخيرية : على مسافة ساعة واحدة في القطار وهي احسن ما في القطر من الحدائق والجنينات ترتيبا وانتظاما ولطفا لا يقصدها الا السراة واهل الذوق والمتأنقون حيث يركبون. صباحا ويعودون في المساء فإنها احسن اوقات النزهة في وادي النيل

المكتبة العمومية

وفي القاهرة مكتبة عمومية ذات بناء عظيم فخم تشتمل على انواع الكتب والمصاحف الشريفةالمخطوطة والمطبوعة في كل المواضيع والفنون والدخول اليها مباح لكل احد لا يدفع الداخل اجرة ما اذ لا يتردد

اليها الا حملة العلوم والآداب وفيها من الكتب العربية (٤٧٣٩٣) مجلدا مطبوعاً و (٢٢٩٢٦) مخطوطاً في فنون شتى ومواضيع مختلفة من علمية وأدبية وفيها من الكتب الافرنجية (٥٦٠٠٠) مجلد ومن الكتب المؤلفة في اللغات الشرقية التركية والفارسية والهندية (٤٠٠٠) مجلد ومن المصاحف الشريفة (٢٦١) مصحفاً وفي مصر ما عدا هذه الخزانة العمومية عن نصف ما في المكتبة العمومية وفي المصاحف ما خطه كوفي يرتقي الى القرن الاول للهجرة ومنها ما يرتقي الى عهد المماليك وهو محلىً بمحلول الذهب والفضة ومنها كوفي الخط على رقوق وهي (٢٧) مصحفاً ومنها انواع مختلفة الخطوط ولهذه المكتبة احباس واوقاف ينفق عليها من ريعها فإن ادارتها مواظبة على اقتناء الكتب وهي تهدي الكتب الى بعض المعاهد والمدارس وتهدى اليها الكتب ايضا

مشهد رأس الحسين والسيدة زينب (ع)

في مصر مشهدان معظمان من مشاهد اهل بيت النبوة عليهم السلام الاول مشهد رأس الحسين (ع) حمل على ما يدعون من الشام ودفن في مصر والثاني مشهد السيدة زينب بنت علي عليها السلام يذكرون انها جاءت مع الرأس وتوفيت في مصر مع انه لا صحة للامرين معا فإن الرأس الشريف لم يحمل الى مصر وقدمر ما يفيدك من هذا الباب والسيدة زينب لم ترجع قط والظاهر ان الفاطميين انشأوا هذين المشهدين على اثر امتلاكهم البلاد للتنويه بذكر اهل البيت عليهم السلام ولإقامة العلويين مأتمهم فيها فخصصوا مشهد الرأس الشريف بالرجال من الفاطميين ومشهد

السيدة بالعلويات منهم والظاهر انه قبر علوية اخرى اسمها زينب وقد اشتهر انه قبر السيدة زينب اخت الحسين (ع) واما مشهد الرأس الشريف فعلى جانب عظيم من اتقان العمارة وفخامة البناء يقع في الجهة الشرقية من المشهد وتجاهه من المغرب جامع كبير عظيم يقوم مقام الرواق فيه وله ثلاثة ابواب وطوله ٨٠ قدماً في عرض ٣٨ قدما معقود السقف على ٩ اعمدة من الرخام طولا و ٥ عرضاً بين كل عمود الى الآخر (٥) اقدام فمجموع الاعمدة التي تحمل السقف ٤٤ عموداً وصحن الجامع من الشمال طوله ٤٣ قدما في عرض ٣٦ وفيه من الجنوب زاوية تؤلف الرواق الجنوبي من المشهد وطول المشهد نفسه ٢٣ قدما وداخله شباك من البرنج الاصفر متقن الصناعة وداخل الشباك دكة عليها بردة حريرية سوداء مقصبة وفيه ايضا طرائف من المعلقات وأفرشة نفيسة وعليه قبة كبيرة لها مأذنتان وكذلك الجامع فقد فرش كله بالسجاد النفيس وعلقت فيه نفائس القناديل والمصابيح واما مشهد السيدة زينب فعليه قبة سوداء في الشمال يتصل بها جامع وبين الجامع المشهد رواق وطول هذا الجامع ٥٠ قدما وعرضه ٣٩ قدماً معقود السقف على ٦ اعمدة من الرخام طولا و ٥ عرضاً بين كل عمود وآخر ٧ اقدام فمجموع الاعمدة ٣٠ عمودا وطول الرواق ٥٠ قدما وعرضه ١٣ قدما داخله شباك من برنج اصفر منقوش وداخل الشباك دكة عليها بردة من حرير اخضر معمولة بالقصب وفيها مصابيح معلقة لكنها دون ما في مشهد الرأس وقد فرش المشهد وفرش الجامع والرواق بالسجاد النفيس وعلى هذين المشهدين اوقاف كثيرة ولأهل البيت عليهم السلام في قلوب المصريين مقام عظيم وقد عرفوا بذلك من القديم فهم يتوارثون حب آل المصطفى جيلا بعد جيل حباً

حقيقياً خالصاً من كل شائبة ولا يقل مايقومون به من زيارة هذين المشهدين وازدحام اقدامهم فيهما عما يفعله العراقيون في مشاهد أئمة اهل البيت عليهم السلام في العراق هذه آثار اهل بيت الرحمة في مصر فضلا عما رأيت من آثارهم في الشام وفي ذلك دليل آخر على طهارتهم وشرفهم وعناية الله تبارك وتعالى بهم وضرورة التمسك بهم زادهم الله تعالى في الدنيا والآخرة



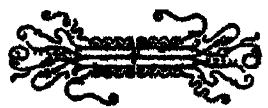
زراعة مصر وصناعتها

يزرع في مصر انواع الحبوب والقطاني من القمح والارز والشعير والذرة البيضاء والصفراء والعدس والفول والحمص والسمسم واللوبيا وهم يكثرون من زرع القمح والذرة واهم حاصلات مصر الزراعية القطن وعلى زرعه معول المصريين وهو منبع غناهم وثروتهم ولا تصدر مصر شيئاً الى الخارج اكثر واغلا منه وقد اشتهر قطنها بالجودة حتى فاق اقطان اوروبا وراجت سوقه فيها وينسج في مصر انواع المنسوجات من قطنية وحريرية للرجال والنساء وكذلك الصوفية وهي دون منسوجات اوروبا وينسج فيها السجاد وهو ايضا دون سجاد ايران ولكن لا يفوقه هذا كثيرا وتنمو في مصر اشجار المناطق المعتدلة والحارة والباردة كالهند واوروبا وسوريا والعراق فمن ذلك اشجار الزيتون والليمون والتفاح والخوخ والتين والعنب على اختلاف انواعها والوانها ومن ذلك اشجار المشمش والرمان واللوز والموز والكمثرى والأجاص واشجار خشبية اوروبية كثيرة وينمو فيها النخل على قلته وارض مصر صالحة

لغرسه وهواها يلائمه ولكن قلما يعنى المصريون به وأكثر ما يوجد قرب الاهرامات وشمالها وجنوبها في الوجه الغربي وهو فى الوجه الشرقي قليل جدا وتربة مصر لينة ليست صلبة طيبة الرائحة ذهبية اللون تنمو بها البقول على اختلافها . ولا بد لها من السقي تباعا ومن مواشيها وحيواناتها الاهلية الضأن والمعز والابل والبقر والجاموس والخيل والبغال والحمير والخيل حسنة الا انها دون خيل سوريا والعراق ولذلك تجلب اليها من تلك البلاد على الدوام وابقارها كأبقار الشام واحسن من بقر العراق وجاموسها اصغر من جاموس العراق وابقع اللون في الاكثر وحميرها المتعارفة بيض الالوان وليس فيهاما في سوريامن الحمير السود وبغالها جيدة

ويروي القطر المصري نهر النيل وهو بواسطته من اغنى اقطار العالم مخرجه من جبال متفرقة في اعالي السودان ثم يصب في حوض النيل وهو يشطر برّ مصر شطرين ويصب بعد اروائها في البحر الأبيض بين الاسكندرية وبورت سعيد ولم يتيسر الانتفاع بمياهه انتفاعا عاماً الا منذ عهد قريب اي منذ ٣٥ سنة اذ تقدم محمد علي باشا ببناء (القناطر الخيرية) تحت اشراف جماعة من مهندسي الانجليز يرأسهم المهندس الشهير (ويلكوكس) وبذلك ارتفع سطح النيل عن مستوى الارض وسيقت منه اليها الجداول والانهر والقنوات وقسموا مياهها على تلك الاراضي القاحلة الماحلة في الوجهين الشرقي والغربي فأصبحت مصر بفضل تلك المياه السائلة المتدفقة روضة من الرياض وجنة من جنان الدنيا بعد ان كانت شبيهة من حيث الجدب والقحط بسهول دجلة والفرات في حالتها الحاضرة بل كانت ارض مصر اجدب وافقر من ارض العراق الآن وحسبك ان جميع ما يتم في اراضي مصر من حرث وبذر وسقي

فإنه تحت اشراف المهندسين ولكل ذلك موازين ومقاييس لا يعدوها وعلى افواه الانهار والجداول والقنوات ابواب حديد فتحها واغلاقها بيد اولئك المهندسين حتى لا يعطى الماء ازيد من القدر الضروري ولا اقل منه . ونهر النيل اعرض من نهر دجلة والفرات وهو على العكس من الرافدين في بعض الاحوال من ذلك ان مجرى الرافدين من الشمال الى الجنوب ومجرى النيل من الجنوب الى الشمال وموسم فيضان الرافدين فى الربيع او في شهري مارت ونيسان وأما موسم فيضان النيل ففي الخريف والى ايلول وتشرين ولله تعالى خرق العادات وموقع هذه الاسداد او القناطر شمال القاهرة على خمسة عشر ميلا من موضع يقال له فم البحر ومنه يتفرع النيل اربعة فروع حيث بنيت الاسداد المذكورة هناك وهي سدّة النيل الغربي له واحدة وستون بوابة وسد النيل الشرقي له ايضا واحدة وستون بوابة وبينهما فرعان صغيران لأحدهما تسعة ابواب وللآخر الذي يتفرع من النيل الشرقي تسعة ابواب وهذه الفروع لا تختلط بالعمود بل تذهب رأساً الى البحر حيث تصب فيه لكنها متجاورة لا تبعد بعضها عن بعض كثيراً وقد عظمت فائدة هذه الطريقة في تقسيم مياه النيل وظهرت منافع تلك الاسداد للعيان ولذلك سميت القناطر الخيرية



المعاهد العلمية في مصر

مصر اليوم كهف اللغة العربية وآدابها فيها كثير من المعاهد العلمية الكبيرة التي تدرس فيها العلوم الاسلامية من اشهرها (الجامع الازهر) وهو من آثار الفاطميين انشأه قائدهم (جوهر) حينما فتح مصر وانتزعها

من العباسيين وعمالهم سنة ٣٥٨ وهو اول بناء انشئ في القاهرة وقد اصبحت مصر بفضل وجود هذا الجامع الشريف محط رحال طلاب العلوم الإسلامية من جميع الآفاق يدرس فيها ما يربو على خمسة آلاف طالب من اجناس مختلفة واقطار متباعدة لهم اساتذه ومدرسون في علوم شتى يتقاضون رواتبهم من ريع الاوقاف الجسيمة التي وقفت إلى هذا الجامع ومشيخة الجامع الأزهر من المناصب الجليلة فهي لا يتولاها الا احد العلماء المشاهير وفي مصر مدارس كثيرة للفنون العصرية تدرس على الاساليب الافرنجية التي يقصد بها تلقين المتعلمين تعاليم الماديين الذين انكروا ما وراء العيان واستخفوا بآداب الاديان فأصبحوا بلا ريب من عبدة الاصنام والاوثان وقد اتضح لجميع العقلاء في كل جهة فساد هذه الطريقة والتربية والتعليم خصوصاً بعد ان ظهر الأفرنج والأوروبيون بمظهرهم الحقيقي في الحرب الكبرى وبان للناس بأن القوم ذئاب عليها ثياب وسباع شرسة الطباع فمن الواجب اللازم على الشرقيين عامة والمسلمين خاصة نبذ الطريقة الأوروبية الفاسدة وطرح بضاعة الافرنج الكاسدة فإن القوم جبلوا على الفساد وايذاء العباد وتخريب البلاد فعسى ان لا تذهب هذه الكلمة صيحة في واد ان شاء الله

الآثار القديمة في مصر

الإهرامات

القطر المصري من اعرق اقطار الأرض في الحضارة والعمران فإن حضارته الوثنية ترتقي الى اكثر من (٣٠٠٠) عام ونحن في غنى عن

وصف حضارته الغابرة على وجه التفصيل وانما نجتزئ الآن بإيراد نبذة عن آثارها القديمة فنقول : مصر هي عاصمة الفراعنة وقاعـدة ملكهم وجبروتهم حيث ادعوا مقام الربوبية وتطاولوا اخزاهم الله الى منازل الالوهية الى ان افناهم الدهر وابادهم الزمان ولم يبق منهم الا آثار آخاوية وربما بالية حفظتها المتاحف ودور الآثار واما ما شيدوه من القصور وما رفعوه من العمارات والدور فقد عفت آثارها ودرست اعلامها اللهم الا ما بقي من الاهرامات لعظمها وجسامتها وليس في هـذه الاهرامات ما يروق الناظر من غرائب الفن وبدائع الصنعة مثل ما في قلعة بعلبك اجل ولكنها ابنية قائمة كقطع الجبال وموضع الإعجاب فيها انما هو في اشكالها وارتفاعها وضخامـة احجارها واتقان عمـارتها لا غير وشكل الاهرام لوزي مخروط او ملقوط شيئًا فشيئًا من قاعدته الى رأسه وقرب القاهرة اهرامان احدهما اكبر من الآخر عرض كل ربع من قاعدة الهرم الكبير ٣٠٠ قدم فيكون مجموع دائرته من الاسفل ١٢٠٠ قدم ثم يأخذ بالإنخراط الى ان يصير في الرأس دون القدمين بحيث لا مجال لوقوف الواقف عليه اما الهرم الصغير فكل ربع من ارباعه السفلى (٢٧٠) ومجموع دائرته (١٠٨٠) قدمًا وفي كل اهرام باب يؤدي الى منارة مظلمة لا يمكن النزول فيها بدون ضياء ولا يدخل الداخل اليها الا بعد الانحناء وليس داخل الاهرام فضاء ولا هو مجوف على ما يقال بل فيه بيوت ومخادع عديدة فقط وهو كما ترى خال من كل اثر للصناعـة نعم انما يـدل بجسامته وضخامته وكبر احجاره على قـدرة البانين له فإن احجاره من اسفله الى اعلاه على مقدار واحد وليس فيها حجر يقل عن مترين مربعين والحق ان فيما بقي من هذه الآثار القديمة كالاهرام وقلعة بعلبك و (تدمر) وغيرها

وكذلك فيما عرف من صنائع المصريين القدماء في امتعتهم والبستهم وتحنيطهم للأموات دليلا كافياً على ان الحضارة الحديثة مقتبسة عن الحضارة القديمة وان الاولى بمنزلة الاصل والثانية الفرع لا غير فلا معنى لتباغي الاوروبيين وافتخارهم بحضارتهم الحديثة



المتحف المصري

هو دار واسعة فخمة البناء ذات حديقة كبيرة فيها حرس كثير ولها مدير يدخل اليها الداخل من باب واحدة بعد اخذ تذكرة قيمتها ٥ قروش مصرية وللداخل ان يبقى ما شاء ومما يوجد في المتحف من آثار الفراعنة محنطات امواتهم رجالا ونساء واطفالا وانواع من امتعتهم واسلحتهم والبستهم وحليهم ونقودهم واصنامهم وحيواناتهم المعبودة وكل ذلك مما استخرجه طلاب الآثار القديمة من الافرنج بعد المثابرة على الحفر مدة طويلة حول الاهرامات وغيرها بشرط ان تكون حصة الحكومة المصرية ٢٠ في المائة من مجموع الآثار المستخرجة ويوجد الآن في المتحف ما يربو على خمسماية جثة محنطة مع البستها وامتعتها ومع الامرأة حليها وقد وضعت هذه المحنطات في توابيت متخذة هي واغطيتها من الاخشاب المغلفة بشيء يشبه الورق وليس به اصفر اللون مصقول عليه نقوش بديعة وعلى اغطية التوابيت صور من فيها واسماؤهم وتاريخ من فيها ووفياتهم التي ترتقي الى (٣٧٠٠) عام واذا نظرت الى تلك الجثث المحنطة حسبتها نائمة لا ميتة منذ سنين فإن لحومها متماسكة واعضاءها متواصلة بجلودها الا انها يابسة لم تبقر بطونها ولم تخلع اظفارها ولم تخلع اسنانها ولم تتغير حتى الآثار

التي في جلودها اما سبب حفظها على هـذه الصورة فهو (التحنيط) المعروف عند قدماء المصريين وبالجملة ففي المتحف نموذج صالح من احوال قدماء المصريين في اشكالهم وهيآتهم ومصنوعاتهم واثاثهم وامتعتهم وتماثيلهم المختلفة صخرية ونحاسية آدمية وحيوانيـة ونقودهم ذهبية وفضية ونحاسية وغير ذلك وفيه برهان قاطع محسوس على بطلان الدنيا وما فيها وما صار اليه جبابرتها وطواغيتها وفراعنتها فسبحان من قهر عباده بالموت والفناء وسبحان من يغير ولا يتغير ويؤثر ولا يتأثر وما احسن قول القائل في هذا الباب :

اين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع

من القاهرة الى بورت سعيد

برحنا القاهرة يوم الخميس ١٥ صفر سنة ١٣٤٢ وركبنا القطار الى (بورث سعيد) الساعه الواحدة صباحا ومررنا على (القنطرة) الساعة ٥ نهارا ثم محطة (الكلب) تبعد عن القنطرة ١٠ دقائق وفيها قرية يسكنها الملاحون والصيادون ثم محطة (تبنة) تبعد عن الكلاب ١٠ دقائق وفيها منازل مهندس ترعة السويس ويتخلج اليها خليج من البحر ثم (رأس العيش) تبعد عن تبنه ١٥ دقيقة وفيها ايضا منازل للمهندسين ثم (بورت سعيد) وصلناها الساعة السادسة حيث امضينا بقية النهار بين تجول وطواف وسؤال واكتشاف وهي مدينة في جزيرة على البحر الرومي يحيط بها البحر من الشمال والجنوب والغرب وتحدها ترعة السويس من الشرق بعد محاذاة صدرها للبلدة لأن مخرجه منها وهناك خليج يتخلج من البحر على ميلين

من جنوبها حيث يختلط بالترعة وليس ما بين الترعة وبين ذلك الخليج الذي يصل الى تبنة من الارض الا بمقدار ما يلزم للسكة الحديدية وللجدول المحفور من الاسماعيلية وموقع بورت سعيد جميل و كل عماراتها على الطرز الحديث قوامها الحجر الطبيعي شوارعها واسواقها واسعة مخططة تخطيطاً هندسياً وهي مدينة تجارية اوقوعها على الطريق بين مصر واوربه واذا استثنينا الحدايق الموجودة داخل المدينة لم نجد فيها اشجاراً اوبساتين وتخترق البلدة طولا سكة حديدية تسحب مركباتها الخيول وصدر الترعة يحاذي البلدة من الشرق ممتدا على عرضها وعلى ضفتيه حواجز حديدية تحجز ما بينه وبين المدينة وله ابواب خاصة مقفلة لا تفتح الا في اوقات معينة للبضائع التجارية ولإركاب المسافرين وانزالهم ولدى تلك الابواب حرس لا يبارحها وعلى ضفتيه حصون منيعة وتجاهه من البحر بوارج حربية متأهبة للطوارئ وفي منتهى الترعة عند السويس ايضا مثل ذلك

من بورت سعيد الى دمشق

برحنا (بورت سعيد) الساعة ١٢ نهاراً راجعين (الى القنطرة) فوصلناها الساعة واحدة ليلا حيث عبرنا الترعة من محطتها الى (سينا) فتأخرنا فيها الى الساعة ٦ ليلا وفيها ركبنا القطار فوصلنا (لُدّ)الساعة ١ نهارا اي بعد طلوع الشمس بساعة ولم نتأخر فيها الا ٣٠ دقيقة وذلك بمقدار نزول المسافرين وركوب غيرهم ثم واصلنا المسير الى (حيفا) فوردناها الساعة ٤ نهارا وفيها تحولنا الى قطار دمشق حيث بارح حيفا الساعة ٤ وعشرين دقيقة ووصلنا دمشق الساعة ٤ من ليلة السبت في ١٧ صفر سنة ١٣٤٢ فأقمنا فيها ١٤ ليلة

من دمشق الى العراق

وهى عنك يا ارض العراق التجلد   فمدنا اليك اليوم والعود احمد

خرجنا من دمشق الشام في طريقنا الى العراق ليلة السبت ٣ ربيع الاول سنة ١٣٤٢ هجرية سالكين طريق البادية على السيارات فوصلنا عذراء الساعه ١١٫ ليلا اي بعد طلوع الفجر بنصف ساعة وهي آخر قرية من قرى الشام ومن القرى القديمة فيها قال ياقوت هي قرية بغوطة دمشق من اقليم خولان معروفة واذا انحدرت من ثنية العقاب واشرفت على الغوطة فتأملت على يسارك رأيتها اول قرية على الجبل وبها منارة وبها قتل حجر بن عدي الكندي وبها قبره و قيل إنه هو الذي فتحها وبالقرب منها راهط الذي كانت فيه الوقعة بين الزبيرية والمروانية قال الراعي :

وكم من قتيل يوم عذرا ولم يكن   لصاحبه في اول الدهر قاليا

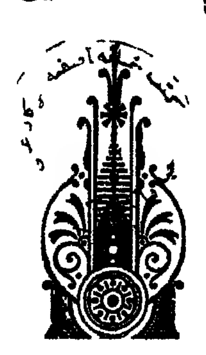
صلينا في عذراء فريضة الصبح ثم اطلقنا لسياراتنا العنان في البر الاقفر وهي عدة سيارات ومابرحت تجدبنا السير الى غروب الشمس ثم واصلت السير الى الساعة ٣ ليلا حيث نزلنا في الصحراء وبتنا فيها الى الصباح وفيه استأنفنا السير الى موضع في وادي حوران المشهور يقال له الرطبة فيه سبعة جباب يربع حولها فريق من عشائر عنزة كالعمارات والروله واما في الصيف فتزدار العمارات ارياف العراق وتنتجع الروله مشارف الشام ولا يقيم في هذا الموضع من حوران الا بدو (الصليب) وهم قوم معروفون من بين العرب كثيرو العدد ينتسبون (الى اهيثم) ويألفون البراري والقفار إلا انهم اذلاء ليس لهم راية مرفوعة بين رايات العرب لايغزون ولا يُغزون لاحتقار العرب اياهم وازدرائهم لهم وترفعهم عن الاحتكاك

والاختلاط بهم لمخالفتهم العرب في كثير من عاداتهم وشيمهم المحمودة وقد اختلفت الاقوال في اصولهم ويقال انهم من بقايا العرب البائدة وقد وجدنا في الرطبة فريقا منهم استسقينا فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه فشربنا وملأنا مزاودنا وكان ماء رديء الطعم ثم واصلنا السير من حوران بقية النهار وهزيعاً من الليل وعرسنا في الصحراء الساعة ٢ ليلا وبتنا فيها الى الصباح وفيه سرنا ووجهتنا بلدة (الرمادي) فوصلناها الساعة ٤ نهارا فعرض لنا في الرمادي ماعاقنابقية النهار واضطررنا الى المبيت فيها ليلة الثلاثاء وقد غادرناها الساعة واحدة صباحا فوصلنا الفلوجه الساعه ٢ و ١٥ دقيقة وبارحناها الساعه ٣ فوصلنا (بغداد) الساعه ٤ ونصف نهاراً اي نهار الثلاثاء في ٥ ربيع الاول سنة ١٣٤٢ حيث ذهبنا رأسا الى الكاظمية للتبرك بزيارة مشهد الإمامين عليهما السلام وفي صبيحة الاربعاء ذهبنا الى بغداد بقصد زيارة جلالة الملك فعلمنا ان جلالته توجه قبل وصولنا بأيام الى الموصل فأقمنا بالكاظمية الى ان عاد بعد ثلاثة ايام فأسرعت الى زيارته في قصره المعمور وحظيت بلقياه فعاتبني على مقاطعة الانتخاب معتقدا اني اعارض في اصل الانتخاب والحال أني اوافق من صميم القلب عليه وإني اعترض على وسائل الشدة والعنف التي يتذرعون بها الى اجراء الانتخابات كما رأيت في مقدم الرحلة وقد اعدت ذلك على مسامع جلالته وقلت له اني ما عارضت ولم اعارض في الانتخاب ولكني احببت ان تجمع بين رضا الأمة وعلمائها وبين مقاصدك في الانتخاب وكنت اخشى من وقوع هذه الضجة القائمة الآن حول الانتخابات فاستحسن ذلك وابدى ما ابدى نحوي من لطف وحنان ثم استأذنته بالرجوع الى محل اقامتي في (الشامية) فأذن وكان خروجي من بغداد ليلة الجمعة ٢٢ ربيع الأول سنة

١٣٤٢ حيث ركبنا القطار الى (الديوانية) الساعة ٥ ليلا فوصلناها الساعة ٣ نهار الجمعة وجدنا محطتها مكتظة بالمستقبلين بينهم ما يربو على مأتي فارس من اهل الشامية عدا ما هرع الى المحطة من اهل الديوانية رجالا ونساء فكان استقبالا شائقا وقد امتطينا ظهور الجياد الى بلدة الديوانيه حيث تناولنا طعام الغداء في بيت (محمد الحج حسين) على مأدبة نفيسة جمعت ما لذ وطاب ثم قصدنا الشافعية بدعوة من (السيد عباس السيد سرحان) إذ كان في جملة المستقبلين فكان مبيتنا ليلة السبت عنده وقد ادب مأدبة عظيمة حضرها كافة المستقبلين وفي الساعة الواحدة من صباح السبت قصدنا محلنا في الشامية فوصلناها ولله الحمد الساعة السابعة شاكرين ذا الجلال والاكرام والفضل والإنعام الذي اعادنا الى ديارنا سالمين وختم لنا هذا السفر معززين محترمين مسرورين مغبوطين منشدين قول الشاعر

والقت عصاها واستقر بها النوي   كما قرّ عينا بالإياب المسافر

. ونرجو في الختام ممن يقف على رحلتنا هذه لا سيما من اولي النقد والخبرة والبصيرة في هذا الفن غض النظر عما عسى قد اتفق لنا من سهو اونسيان اوزيادة اونقصان والتجاوز عما شطح به القلم او زلت به القدم وهو المسؤول وحده ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه والصلاة والسلام على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطاهرين



فهرس الرحلة المحسنية

